وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـــــة ديالـــــى

كلية العلوم الاســـلامية

قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

الأمثال القرآنية ووظيفتها في السِّياق القرآني في ضوء تفسير مفاتيح الغيب للإمام الرازي (ت: ٦٠٦ هـ)

رسالة مقدمة

الى مجلس كلية العلوم الاسلامية - جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن تخصص (تفسير)

تقدم بها الطالب

بارق خالد كامل الخيلاني

بإشـــراف

أ.د. منشد فالـــح وادي

أ.م.د. حيدر أحمد حسين

١٤٤٤ هـ

٢٠٢٢م

الملخص:

حفل القرآن الكريم بكثير من الأمثال التي تعددت موضوعاتها وتباينت صورها وتنوعت مجالاتها، فقد بلغ في القرآن الكريم خمسة وثمانين مثلاً صريحاً . ويعتبر المثل القرآني عِلماً من علوم القرآن المهمة . لذلك أحببت أن يكون موضوع رسالتي عنه ويكون في كتاب واحد أحد رواد التفسير وهو تفسير الامام الرازي، وقد قسمت رسالتي إلى تمهيد وثلاثة فصول إما التمهيد فقد تكلمت فيه عن الأمثال القرآنية وأنواعها وأغراضها ومفهوم السياق ونبذة موجزة عن حياة الإمام الرازي والتعريف بتفسيره ومنهجه فيه، وتناولت في الفصل الثاني الأمثال الواردة في السور المكيّة في قضايا العبادات والعقيدة وفي حقيقة الحياة الدّنيا، وتناولت في الفصل الثاني الأمثال الواردة في السور المدنية وكان في مسائل الأحكام والقضايا السلوكية والتربوية و القضايا الاجتماعية، وتناولت في الفصل الثالث الأمثال بلاغياً وخروجها مخرج التّشبيه والاستعارة وقد توصل الباحث إلى عدة استنتاجات اهمها أشار الإمام الرازي إلى أنَّ المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه، وبيّن الإمام الرازي أنَّ الغرض من المثل هو تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويَصِيُر الحسُّ مطابقاً للعقل وذلك في نهاية الإيضاح، آيات الأمثال قد تأتي مبينة وموضحة لآياتٍ قبلها، وقد تأتي ممهدة لآيات واردة بعدها، والمتأمل في المثل القرآني يخرج بالعلاقة الرابطة بين المثل وسياقه السابق واللاحق، والمثل القرآني يبرز المعنى في صورة حسية تكسبه روعة وجمالاً، وتجعله أكثر إقناعاً للعقل، وإمتاعاً للأُذُن، أنَّ المثل القرآني لا يقتصر على خطاب العقل وحده، ولا على مخاطبة الوجدان وحده بل يشرك مع العقل الوجدان فيخاطبهما معاً، وبذلك تبلغ الحجة من العقول والقلوب ما تريد، من تثبيت للحق وإزهاق للباطل، وإقناع لذوي الفطر السليمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾

سورة العنكبوت

الآية: ٤٣

إقرار المشرف

أشهدُ أنَّ إعدادَ هذهِ الرسالة الموسومة بـ(**الأمثال القرآنية ووظيفتها في السياق القرآني في ضوء تفسير مفاتيح الغيب للإمام الرازي**) الَّتي قدَّمها الطالب (**بارق خالد كامل**) قد جرت بإشرافنا في كُلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلَّبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن (تخصص تفسير).

المشرف
أ. د. منشد فالح وادي
التاريخ: / / ٢٠٢٢م

المشرف
أ.م. د. حيدر أحمد حسين
التاريخ: / / ٢٠٢٢م

– توصية رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميَّة:
بناءً على التوصيات المتوافرة، أُرشح هذهِ الرسالة للمناقشة.

أ. م. د أحمد عبود علوان
رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميَّة
التاريخ: / / ٢٠٢٢ م

أ. د فاضل أحمد حسين
معاون العميد للشؤون العلمية
التاريخ: / / ٢٠٢٢ م

إقرار المقوم اللغوي

أشهدُ أنَّ هذهِ الرسالة الموسومة بـ (الأمثال القرآنية ووظيفتها في السياق القرآني في ضوء تفسير مفاتيح الغيب للإمام الرازي) التي قدَّمها الطالب: (بارق خالد كامل) إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن . قد جرى تقويمها لغوياً من قبلي .

التوقيع:

اسم الخبير:

المرتبة العلمية:

التاريخ: / / ٢٠٢٢م

إقرار المقوم العلميّ

أشهدُ أنَّ هذهِ الرسالة الموسومة ب (الأمثال القرآنية ووظيفتها في السياق القرآني في ضوء تفسير مفاتيح الغيب للإمام الرازي) التي قدَّمها الطالب: (بارق خالد كامل) إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن . قد جرى تقويمها علمياً من قبلي .

التوقيع:

اسم الخبير:

المرتبة العلمية:

التاريخ: / / ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار لجنة المناقشة

نحن رئيس و أعضاء لجنة المناقشة نشهدُ أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ (الأمثال القرآنية ووظيفتها في السياق القرآني في ضوء تفسير مفاتيح الغيب للإمام الرازي) التي قدّمها الطالب (بارق خالد كامل) إلى مجلس كلية العلوم الاسلامية – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلامية. وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها، وفي ما له علاقة بها، ونرى أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في علوم القرآن تخصص (تفسير)، بتقدير ( ) .

أ. د
التاريخ: / / ٢٠٢٢م
رئيسًا

أ. م. د
التاريخ: / / ٢٠٢٢ م
عضواً

أ. م.د.
التاريخ: / / ٢٠٢٢ م
عضوًا

أ. د. منشد فالح وادي
التاريخ: / / ٢٠٢٢ م
عضواً ومشرفًا

أ. م. د. حيدر أحمد حسين
التاريخ: / / ٢٠٢٢م
عضواً ومشرفاً

صادق على الرسالة مجلس كلية العلوم الإسلامية – جامعة ديالى. بتاريخ / / ٢٠٢٢م.

الأستاذ الدكتور
عمر عبد الله نجم الدين
عميد كلية العلوم الإسلامية

الإهـــداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك . . . ولا تطيب اللَّحظات إلّا بذكرك . . .

ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك . . . ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك

إلى من قاد قلوب البشرية وعقولهم إلى مرفأ الأمان، معلم البشرية الأول سيدنا

محمد بن عبد الله □ .

إلى من ارتبط رضا الله برضاهما وقال فيهما الباري عزّ وجل: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾[1] والدَيَّ حفظهما الله وبارك في أعمارهما .

إلى سندي في هذه الحياة . . . إخوتي، أَخواتي

اساتذتي الأكارم حفظهم الله

إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم . . . . أصدقائي

أهدي اليهم ثمرة جهدي هذا

الباحث

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٤ .

شكر وعرفان

الحمد الله ونشكره على كبير فضله وسائر نعمه الذي وفقني لإتمام رسالتي .

وأتقدم بخالص الشكر والعرفان، ووافر التقدير والاحترام لأستاذيَّ المشرفَينِ الدكتور أ . د . منشد فالح وادي و أ .م.د . حيدر أحمد حسين، ذوي الأيادي البيضاء اللذين أشرفا على رسالتي هذه، فكانا حقاً – وهي شهادة أسأل عنها يوم الحساب- وتعلمت منهما البحثُ الجاد، فقد كانا حريصينِ على إتمام رسالتي وإخراجها في أفضل ما يمكن جزاهما الله عني خير الجزاء .

ثم إني أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة الذين أخذت الرسالة شيئاً من وقتهم في قراءتها حتى تخرج في أحسن صورة .

وأيضاً شكر موجه إلى عميد كُلِّيَة العلوم الإسلاميَّة (أ .د عمر عبدالله نجم الدين الكيلاني) لتسهيله على الطلبة الخدمات المطلوبة، والتي من شأنها أن تجعل لهم فضاءً للدراسة وطلب العلم .

والشكر الوافر لأساتذة كُلِّيَة العلوم الإسلاميَّة، وفضلاً على موظفي كلية العلوم الاسلامية وموظفي مكتبتها لما أبدوه من نصائح قيِّمة .

كما أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى الست (شيرين وهيب عطية) لمواقفها النبيلة ومساعدتها طيلة مدة إعداد الرسالة، والى كُلّ من مَدّ لنا يد العون والمساعدة ولو بنصيحة أو دعاء ممن ذكرناه ومن لم نذكره، فجزاهم الله عنا خير الجزاء .

الباحث

المحتويات

العنوان	الصفحة
الآية	
الإهداء	
شكر وعرفان	
المحتويات	
المقدمة	**أ – ث**
التمهيد **مفهوم الأمثال القرآنية والسياق القرآني والتعريف بالإمام الرّازي وتفسيره**	**١–٤١**
أولاً: مفهوم المثل .	**٢–١٢**
١. تعريف المثل لغةً .	٢
٢. تعريف المثل اصطلاحاً .	٣
ثانياً: أقسام الأمثال واغراضها وسماتها .	**١٢–٢٠**
ثالثاً: مفهوم السياق .	**٢١–٢٤**
١. تعريف السياق لغة .	٢١–٢٣
٢. تعريف السياق اصطلاحاً .	٢٣–٢٤
رابعاً: السياق القرآني والمثل القرآني .	**٢٤–٢٨**
خامساً: التعريف بالأمام الرازي .	**٢٨–٤١**
١. اسمه ولقبه، نشأته، علمه، صفاته، مذهبه الفقهي، تلاميذه .	٢٨–٣٣
٢. آثاره العلمية .	٣٣–٣٧
سادساً: التعريف بتفسير الرازي (مفاتيح الغيب) .	**٣٧–٣٨**
أولاً: منهج التفسير .	٣٨–٤٠
ثانياً: أهمية دراسة الأمثال في تفسير الرازي .	٤٠–٤١
الفصل الأول: الأمثال الواردة في السور المكيّة	**٤٢–٩٣**

المبحث الأول: امثال الآيات المكيّة الواردة في القضايا العقديّة .	٤٣-٦٢
المطلب الأول: الانسلاخ عن آيات الله والمثل الوارد فيه .	٤٣-٥٣
المطلب الثاني: المثل المضروب في بطلان عبادة الأصنام عقلاً.	٥٣-٥٩
المطلب الثالث: المثل المضروب في مآل أعمال الكافرين .	٦٠-٦٢
المبحث الثاني: امثال الآيات المكيّة الواردة في قضايا العبادات .	٦٢-٨٣
المطلب الأول: ضرب المثل في إبطال حجة الكفار في عبادة غير الله .	٦٢-٧٢
المطلب الثاني: المثل الوارد في التّكذيب بآيات الله سبحانه وتعالى	٧٢-٧٥
المطلب الثالث: المثل الوارد في حال المؤمن والكافر .	٧٦-٨٣
المبحث الثالث: امثال الآيات المكيّة المتعلقة بحقيقة الحياة الدّنيا .	٨٣-٩٣
المطلب الأول: المثل المضروب في حقيقة الحياة الدنيا .	٨٣-٨٥
المطلب الثاني: المثل المضروب في الاغترار بكثرة الأموال والأولاد .	٨٥-٨٩
المطلب الثالث: المثل المضروب في كفران النّعم القليلة أوجبت لصاحبها العذاب، فكيف بالنعم الكثيرة فحريٌ أن يكون العذاب أشدُّ وأنكى .	٨٩-٩٣
الفصل الثاني: الأمثال الواردة في السور المدنية	٩٤-١٤٥
المبحث الأول: الأمثال الواردة في مسائل الأحكام ووظيفتها في السياق .	٩٥-١٠٧
المطلب الأول: المثال الوارد في الإنفاق في سبيل الله .	٩٥-٩٨
المطلب الثاني: المثل الوارد في الرِّبا .	٩٨-١٠٤
المطلب الثالث: المثل الوارد في الحكم بالعدل .	١٠٤-١٠٧
المبحث الثاني: الأمثال الواردة في القضايا السلوكية والتربوية ووظيفتها في السياق	١٠٧-١١٩

المطلب الأول: المثل الوارد في سلوك طريقة التقليد وعدم التدبّر .	١٠٧-١١٠
المطلب الثاني: المثل الوارد في حقيقة الرِّياء .	١١١-١١٦
المطلب الثالث: المثل الوارد في الصِّفات المبطلة للأعمال .	١١٦-١١٩
المبحث الثالث: الأمثال الواردة في القضايا الاجتماعية ووظيفتها في السياق .	١١٩-١٣٤
المطلب الأول: المثل الوارد في حقيقة النفاق وصفات المنافقين	١١٩-١٢٦
المطلب الثاني: المثل الوارد في الخيانة وآثارها الاجتماعية .	١٢٦-١٢٨
المطلب الثالث: المثل الوارد في الإرادة الصالحة وأثرها الاجتماعي	١٢٨-١٣٤
الفصل الثالث: الأمثال القرآنية دراسة بلاغية تحليلية	١٣٥-١٦٤
تمهيد: الأمثال بلاغياً .	١٣٦-١٣٨
المبحث الأول: خروج المثال مخرج التّشبيه	١٣٨-١٥٦
المطلب الأول: تعريف التّشبيه في اللغة الاصطلاح .	١٣٨-١٣٩
المطلب الثاني: أركان التَّشبيه وأنواعه .	١٤٠
المطلب الثالث: خروج التمثيل مخرج التّشبيه .	١٤٠-١٥٦
المبحث الثاني: الأمثال التي وردت على وجه الاستعارة	١٥٧-١٦٤
المطلب الأول: الاستعارة في اللغة والاصطلاح .	١٥٧-١٥٨
المطلب الثاني: بلاغة الاستعارة في التمثيل .	١٥٨-١٦٢
المطلب الثالث: خروج التمثيل مخرج الاستعارة .	١٦٢-١٦٤
الخاتمة	١٦٥-١٦٧
المصادر والمراجع	١٦٨-١٨٦

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لدينه القويم ومَنَّ علينا بكتابهِ المبين، وضرب لنا الأمثال وجعل من آياته اختلاف الألسنة والألوان، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين، وأشرف المرسلين وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم إلى يوم الدين، وبعد .

بعد نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ أقبل المسلمون عليه يقرؤونه ويحفظونه، وقد حفل القرآن الكريم بكثير من الأمثال التي تعددت موضوعاتها، وتباينت صورها، وتنوعت مجالاتها، ويُعدُّ المثل القرآني عِلماً من علوم القرآن المهمة .

وقد اهتمَّ الباحثون بجمع أمثال القرآن ودراستها وأفرد لها بعضهم كتباً وخصَّص لها بعضهم فصولاً في كُتُبِهم، وعلى الرغم من كثرة المؤلفات في الأمثال القرآنية إلا أنها اهتمت بدراسة الصور الفنية والبلاغية أو المقارنة بين أمثال القرآن وأمثال العرب، ولم تُدرسْ في تفسير مفاتيح الغيب من جانب تفسيري بحت، ولذا يرى الباحث أنَّ الموضوع جدير بالدراسة من جانب الدراسات القرآنية وأثرها في تشكيل معالم البيان القرآني .

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

تكمن أهمية دراسة الأمثال القرآنية لكونِها اتخذت مساحة واسعة في القرآن الكريم، وتُعُدُّ من أهمَّ وسائل القرآن الكريم في ترسيخ المعاني وتأثير السياق بالحِكَم والعِبر المُثبتة للحقائق والمقاصد القرآنية، وأنَّ أهمية دراسة الأمثال في ضوء تفسير مفاتيح الغيب يكتسب أهمية على وجه الخصوص؛ نظراً لأهمية هذا التفسير والطريقة المبتكرة في شرح الأمثال وبيانها وتأصيل المعاني التفسيرية المستخلصة منها.

تساؤلات الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١. ما منظور الإمام الرازي في الأمثال القرآنية؟

٢. كيف تؤثر الأمثال القرآنية في القلوب والنفوس؟

٣. ما موضع المثل القرآني، وكيف خدم السياق القرآني؟

٤. ما الأمثال التي تناولت القضايا العقدية؟

٥. كيف خرجت الأمثال مخرج التشبيه والاستعارة؟

٦. هل كان للأمثال في العهدين المكي والمدني سمات خاصة؟

أسباب اختيار للموضوع:

١. إنَّ دراسة التفسير وعلوم القرآن شغفت قلبي منذ أن سلكت طريق طلب العلوم الاسلامية، وقد رأيت في تفسير الإمام الرازي ((مفاتيح الغيب)) غايتي حيث انَّهُ من التفاسير التي تضمنت علوماً متنوعة وتعزِّزُ المَلَكة التفسيرية لدى طالب العلم، وقد كان موضوع الأمثال في تفسير الرازي من المواضيع الباهرة، حيث تجلّت فيه مُكْنَتهُ وبراعتُه العلمية في بيانها وشرحها واستنباط الأَحكام والحكم منها، ومحبتي لعلم التفسير والولوج في ظلال القرآن الكريم والتبحر في معانيه ودلالاته، فكان أن يسَّر الله (سبحانه وتعالى) هذا التفسير ((مفاتيح الغيب)) لدراسة موضوع الأمثال في السياق القرآني .

٢. لم أجد دراسة مختصة في الأمثال القرآنية في ضوء تفسير الرازي وعلى الرغم من أهمية الموضوع لكونه محط عناية العلماء والباحثين .

٣. إنَّ طريقة شرح المثل ودراسته في تفسير الرازي طريقة مبتكرة تستدعي تسليط الضوء عليها واكتشافِها والافادة منها .

الدراسات السابقة:

١. المستفاد من الأمثال القرآنية: علي مصطفى جاسم محمد الشيخلي، رسالة ماجستير مسجلة في الجامعة الإسلامية، بغداد، كلية أصول الدين، قسم العقيدة، تخصص (فكر إسلامي) .

٢. أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، وتناول الأمثال فيها وكان التركيز على الجوانب البلاغية والأدبية فيها من تمثيل وتشبيه، وهو كتاب مطبوع .

٣. الأَمثالُ القرُآنِيَّةُ ((دِرَاسَةٌ بَلاغِيةٌ تحَلِيلِيةٌ)): هند بنت عبد العزيز بن عبد الله السويكت، رسالة ماجستير مسجلة في كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، تقوم على تحليل آيات المثل تحليلاً بلاغياً .

٤. الأمثال في القرآن الكريم: محمد جابر الفياض، وهي رسالة ماجستير مسجلة في كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عين شمس، القاهرة، وفيه تناول الأمثال وعلاقتها بالمفاهيم الأخرى مع تطرقه لأمثال العهدين، ولم يتناول الأمثال القرآنية جميعاً .

حدود الدراسة:

دراسة الامثال القرآنية في ضوء تفسير الرازي ((مفاتيح الغيب)) .

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث المنهج التحليلي والوصفي في رسالته للوصول إلى النتائج المرجوة في الموضوع، وقد اعتمد الباحث أيضاً على خطوات إجرائية تتلخص بما يأتي:

١. دراسة الأمثال بحسب السياق الزمني من خلال تقسيمها إلى زمنيين ((الأمثال في العهد المكي)) و((الأمثال في العهد المدني))، وهذا التقسيم استدعته السياقات الموضوعية التي كانت مختلفة في العهدين وهذا ما ظهر خلال البحث .

٢. تخريج الأقوال ونسبتها إلى قائليها، والاعتناء بتخريج الآيات القرآنية وكتابتها بالرّسم العثمانيّ؛ لأنَّهُ سنةٌ متبعةٌ، وتخريج الأحاديث النبوية من كتب الحديث، وبيان درجة الحديث وحكمه، ولم اتعرض إلى التّعريف بالأعلام المشهورة الواردة في الرسالة لعدم إثقال الهامش الا إذا كانت هنالك حاجة للتعريف بالشخصية المذكورة .

٣. درستُ الموضوع دراسة علمية، فقد عرفت بمفردات العنوان، وبيّنت مدى اهتمام الإمام الرازي بالأمثال القرآنية ووظيفتها في خدمة السياق القرآني، وأثرها في تفسيره في ضوء المنهجين التحليلي والوصفي لدراسة الأمثال القرآنية في تفسير الإمام الرازي "رحمه الله" مقارنة ذلك مع أقوال المفسرين بذكر الأمثلة والشواهد، وقد عملتُ جاهداً على توثيق النصوص من مصادرها الأصلية، ونسبة الفضل لأهله ما استطعتُ إلى ذلك سبيلا .

٤. الاقتصار على الأمثال التي جاء لفظ المثل فيها صريحاً كقوله تعالى:﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا﴾ ولم أتناول جميع الأمثال القرآنية وإنما اقتصرتُ على بعضٍ منها وطريقتي في اختيار الأمثلة، وهي التي صُرِّحَ بلفظ المثل فيها، فذكرت المثل في رأس الصفحة ثم أبيّن المعنى الإجمالي فيه، ومن ثَمَّ أدرسه دراسة تحليلية .

خطة الدراسة

قسّمت رسالتي على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، وأما التمهيد فوسّمته بعنوان: مفهوم الأمثال القرآنية والسياق القرآني والتعريف بالإمام الرّازي وتفسيره، وفيه ستة مسائل:

اولاً: مفهوم المثل .

ثانياً: أقسام المثل وأغراضه وسماته .

ثالثاً: مفهوم السياق .

رابعاً: السياق القرآني والمثل القرآني .

خامساً: التعريف بالإمام الرازي .

سادساً: التعريف بتفسير الرازي ((مفاتيح الغيب)) .

وأما الفصل الأول فوسَّمته بعنوان: الأمثال الواردة في السور المكيّة، وقسّمته على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: امثال الآيات المكيّة الواردة في القضايا العقديّة.

المبحث الثاني: امثال الآيات المكيّة الواردة في قضايا العبادات .

المبحث الثالث : امثال الآيات المكيّة المتعلقة بحقيقة الحياة الدنيا .

وأما الفصل الثاني فوسّمته بعنوان الأمثال الواردة في السور المدنية، وقسّمته على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأمثال الواردة في مسائل الأحكام ووظيفتها في السياق .

المبحث الثاني: الأمثال الواردة في القضايا السلوكية والتربوية ووظيفتها في السياق .

المبحث الثالث: الأمثال الواردة في القضايا الاجتماعية ووظيفتها في السياق .

وأما الفصل الثالث فوسمته بعنوان الأمثال القرآنية دراسة بلاغية تحليلية وقسمته على تمهيد ومبحثين:

تمهيد: الأمثال بلاغياً .

المبحث الأول: خروج المثال مخرج التّشبيه .

المبحث الثاني: الأمثال التي وردت على وجه الاستعارة .

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج .

المصادر والمراجع .

ومن أهم الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث أنَّهُ يستلزم التعامل مع نص له قدسيته، وهو القرآن الكريم، فكان ذلك يتطلب مني المزيد من التثبت والتحقق لا سيما في المواضع التي يختلف فيها المفسرون، وفضلاً على أنَّ التحليل في المثل يستلزم جهداً وقدراً كبيراً من التدبَّر، والدراسة، للوصول إلى الاحكام والحِكم المستنبطة منه . وفي نهاية المطاف لا يسعني الا أن أعترف بقلّة بضاعتي، ولا يشفع لي الا أن أنني لم أدّخر جهداً فقد وصلت الليل بالنهار ولم أترك مسألةٍ تحتاجُ إلى بحثٍ الا ودرستها ولقد كان همّي ونيتي خدمة كتاب الله لكسب رضاه ونيلِ شرفِ الانتسابِ إلى كلية العلوم الإسلامية . فما كان في هذا البحث من صحيح وصواب وسداد للرأي فهو من عند الله تعالى وما كان فيه خطأ او نسيان او زلل فمن عندي ولا أدَّعي الكمال إنما هو لله وحده .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وأله وصحبه أجمعين .

التمهيد

مفهوم الأمثال القرآنية والسياق القرآني والتعريف بالإمام الرّازي وتفسيره

- أولاً: مفهوم المثل .
- ثانياً: أقسام وأغراض وسمات الأمثال .
- ثالثاً: مفهوم السياق .
- رابعاً: السياق القرآني والمثل القرآني .
- خامساً: التعريف بالإمام الرازي .
- سادساً: التعريف بتفسير الرازي (مفاتيح الغيب) .

أولاً: مفهوم المثل

١. تعريف المثل لغةً

قال ابن فارس(ت:٣٩٥هـ): ((الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، أي نظيره، والمثل والمثال في معنى واحد))[١] .

والمِثلُ كلمة تسوية يقال: هذا مثِله ومَثَله كما يقال شبهه وشبَهَهُ بمعنى والفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتَّفقين؛ لأنَّ التَّساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتَّفقين[٢] .

والمِثلُ هو الشِّبهُ والمَثَلُ[٣]، ((وامتثلت الأمر: احتذيته، وامتثل منه: اقتص، وأمثله منه القاضي: أقصّه، وأخذ المثال: القصاص))[٤] .

وضرب الأمثال، وهو اعتبار الشيء بغيره وتمثيله به، والضرب: المثال، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾[٥] أي: وصف وبيّن، وقولهم ضرب له المثل بكذا، وإنّما معناه بين له ضرباً من الأمثال، أي: صنفاً منها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾[٦] .

أي: اذكر لهم ومثّل لهم، يقال: عندي من هذا الضرب شيء كثير، أي: من هذا المثال، وهذه الأشياء على ضرب واحد، أي: على مثال، والأشياع أيضاً: الأمثال، وفي قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُ﴾[٧] أي: بأمثالِهم من الأمم الماضية ومن كان مذهبه

---

(١) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، بيروت ١٩٧٩م، مادة: (مثل): ٢٩٧/٥ .

(٢) ينظر: لسان العرب: ابن منظور، ط٣، دار صادر – بيروت، ١٤١٤هـ، مادة: (مثل): ١١ / ٩١٠ .

(٣) ينظر: القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٥م، مادة: (مثل): ١٠٥٦ .

(٤) أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تح: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٩٨م، مادة: (مثل): ٢ / ١٩٣ .

(٥) سورة النحل، الآية: ٧٦ .

(٦) سورة الكهف، الآية: ٣٢ .

(٧) سورة سبأ، الآية: ٥٤ .

مذهبهم[١]، وأورد الإمام الرازي ((ت:٦٠٦هـ)) أنَّ المثل في كَلَامِهِم أي: ((اللغويين))، بمعنى المثِلِ، وهو النَّظيرُ، وَيُقَالُ مَثَلٌ وَمِثلٌ وَمَثِيلٌ كَشَبهٍ وَشِبيهٍ وَشَبَيهٍ))[٢] .

((والمَثَل يقال على وجهين: أحدهما: بمعنى المثِل، نحو شِبه وشَبَه، والثاني: عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني))[٣] .

والرازي بيّن الفرق بين كلمتيّ ((المثِلُ)) بالكسر و((المَثَلُ)) بالفتح، فقال: ((المِثلُ هو الذي يكون مساوياً للشيء في تمام الماهية، والمَثَلُ هو الذي يكون مساوياً له في بعض الصّفات الخارجة عن الماهية وإن كان مخالفاً في تمام الماهية))[٤] .

٢. تعريفُ المثل اصطلاحاً:

قال أبو هلال العسكري ((ت:٣٩٥هـ))

((أصل المثل التماثل بين الشيئين في الكلام كقولهم: "كما تدين تدان"[٥]، أي: (كما تجازي تُجازى، يعني كما تعمل تجازى، إن حَسناً فحسن وإن سيئاً فسيئ)[٦]، وهو من قولك هذا مِثل الشيء ومَثَله كما تقول شِبهه وشَبهه، ثم جعل كل حكمة سائرة مثلاً))[٧] .

---

(١) ينظر: لسان العرب، ١ / ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٨ / ١٨٩، مادة (عَبَرَ) .

(٢) مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ: ٢ / ٣١٢ .

(٣) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، ١٤١٢هـ: ٧٥٩ .

(٤) مفاتيح الغيب: ٢٧ / ٥٨٥ .

٥ جمهرة الأمثال: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، دار الفكر – بيروت: ٢ / ١٦٨ ، رقم المثال: (١٤٦٠) .

٦ مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد دار المعرفة – بيروت، لبنان: ٢ / ١٥٥ .

(٧) جمهرة الأمثال: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، دار الفكر – بيروت،: ١ / ٧ .

والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره، نحو قولهم: "الصيف ضَيَّعتِ اللبن"[١][٢]، فالمثل مأخوذ من المثال، وهو: كلامٌ سائرُ يُشَبَّه به حالُ الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، فقولهم: "مَثَلَ بَين يَدَيه" إذا انتصب معناه أشبه الصورة المنتصبة، فحقيقة المثل ما جُعل كالعلم للتشبيه بحال الأوّل، كقول الشاعر :

كَانَت مَوَاعِيدُ عُرقُوبٍ لَهَا مَثَلاً ... وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الأبَاطِيلُ[٣]

((فمواعيد عرقوب عَلَم لكل ما لا يصح من المواعيد))[٤] .

وهو قولٌ مشهور، وعبارةٌ مُرسَلَة تحمل معنى وعبرة، وتشير الى قصة وحادثة[٥]،((طريقة من جملة الطرائق الأسلوبية التي عالجت بها الآيات القرآنية، الحقائق في منازعها المختلفة))[٦]، والمثل هو الشَّبهُ الّذي يُصِيرُ كالعلم لكثرة استعماله فيما يشبه به[٧] .

حقيقة المثل: يقوم المثل على الشبه والنظر بين طرفين لتتم بينهما المقارنة والمشابهة، وقد يكون المثل بمعنى الصفة، ومن ذلك قولهِ تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٨]، أي: صفة الجنة، وقال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[٩]، أي: الصفة العليا المقدسة، وهي لكونهِ تعالى مُنزَّهاً عن الولد، وأشار الرّازي "رحمه الله" كيف جاء قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ مع قوله

---

(١) (ضيعتِ) بكسر التاء وان خاطبت به مذكراً؛ لأن الأمثال تحكى، فلا تغير عن صيغتها التي تمثل بها أول مرة. ويضرب هذا المثل لمن يضيع الأمر ثم يريد استدراكه، ينظر: المصدر نفسه، رقم المثال: ١٠٧٩: ١ /٥٧٥ .

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٧٥٩ .

(٣) ديوان كعب بن زهير: تح: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيرت – لبنان، ١٩٩٧م: ٦٢ .

(٤) مجمع الأمثال: ١ / ١ .

(٥) ينظر: الأمثال الكامنة في القرآن الكريم: الحسين بن الفضل، تح: علي حسين البّواب، ط١، مكتبة التوبة ١٩٩٢م: ٩ .

(٦) عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن: علي أحمد عبد العال الطهطاوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م: ١٧٤ .

(٧) ينظر: مفاتيح الغيب: ٨ / ٣٣٦ .

(٨) سورة الرعد، الآية: ٣٥ .

(٩) سورة النحل، الآية: ٦٠ .

تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾[١]، فقال: ((المثل الذي يذكره الله حقٌ وَصِدقٌ والَّذي يذكره غيره فهو باطل، والله أعلم))[٢] .

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾[٣]، أي: صفتهم، وقال قوم: إنّما يعني المثل: المثال الذي يحذى عليه كأنه جعله مقياسا لغيره[٤] .

وعُرِّفَت الأمثال: بأنها تمثيل أو مشابه موضوع بموضوع من حيث حكمه، ومقاربة المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر[٥] .

المعاني الرئيسة للفظ ((مثل)) وهي :

أوّلاً: القول السائر: يطلق لفظ ((مثل)) عَلَماً على كل قول اشتهر، وتناقلته الألسُنْ وكَثُرَ تَمثُّل الناس بهِ، والقول السائر هو الّذي يُشَبّه مَضرِبه[٦] بمورده[٧]، وهو مأخوذٌ من التَّمثل أي: الإنشاد، ويقال له : مَثَلٌ، ويجب أن يكون قولاً فِيهِ غرابة من بعض الوجوه[٨] .

الأقوال السارية والتّشبيه:

تُقسَم الأمثال السارية استناداً إلى اشتمالها على التَّشبيه إلى أقسام:

١. ما شبه مضربه بمورده، وكان أسلوبه تشبيهاً

مثل قولهم: ((كمجير أم عامر))[٩] .

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٤ .

(٢) مفاتيح الغيب: ٢٠ / ٢٢٦ .

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩ .

(٤) ينظر: عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن: ١٧٤ .

(٥) ينظر: الأمثال في القرآن: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تح: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، ط١، مكتبة الصحابة – مصر – طنطا، ١٩٨٦ م، ص: ٩ .

(٦) يُراد بِمضرِبِ المثل: الحالات والمواقف المتجددة التي يمكن أن يستعمل فيها المثل، لما بينها وبين مورد المثل من التشابه ، ينظر: الأمثال العربية دراسة تحليلية تاريخية: د. عبد المجيد قطامش، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ: ١٤ .

(٧) مورد المثل، يراد به: الحالة التي قيل فيها ابتداء، ينظر: الأمثال العربية :١٤ .

(٨) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢ / ٣١٢ .

(٩) يضرب لمن يضع المعروف في غيره أهله، ولمن يكافأ بالسوء على إحسانه. ينظر: مجمع الأمثال: ٢ / ١٤٤ .

فإنَّ الأسلوب تشبيه، ويضرب لتشابه مضربه أي: الحال التي تمثل به لها مع الحال التي أطلق فيها أولاً .

٢. ما شبه مضربه بمورده، لكن الأسلوب ليس تشبيهاً، كقولهم:

((الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللبن))[١]، وتشبيه المضرب بالمورد إنّما هو من باب الاستعارة التمثيلية[٢]، حيث تُستعار حال من ضُرب له أولاً، لحال من ضُرب له آخراً لوجود التشابه بينهما[٣] .

٣. الحِكَم و جوامع الكلم والأقوال التي ليس لها مورد، وليست أُسلوباً تشبيهياً . كقولهم: ((إن القليل بالقليل يكثر))[٤]، وتمثلهم بقول الشاعر:

على قَدرِ أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرامُ المكارمُ[٥]

فهنا الأسلوب ليس تشبيهياً، وليس هناك موردٌ للمثل تشبه به حال مَن ضُرب له .

٤. ما كان أسلوبه تشبيهاً ولكن ليس له مورد يشبه به مضربه، كتمثلهم بقول: الخنساء(٥٧٥م/ ٦٤٥م)[٦] ((رحمها الله)):

وإنَّ صخراً لتأتمُّ الهداة به كأنَّهُ علمٌ في رأسه نارُ[٧]

---

(١) مجمع الأمثال: ٢ / ٦٨ .

(٢) الاستعارة التمثيلية: ((تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي))، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١،٢٠٠٣م: ١ / ٤٤ .

(٣) ينظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم: الحسن بن مسعود بن محمد، نور الدين اليوسي، تح: محمد حجي محمد الأخضر، ط١، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٨١م: ١ / ٢٢ .

(٤) ديوان أبي العتاهية: الأرجوزة ذات الأمثال، ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ: ٤٩٣ .

(٥) اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي: أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري، تح: محمد سعيد سعيد المولوي ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ٢٠٠٨م: ١١٧٣ .

(٦) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث، الخنساء لقب غلب عليها، من الشاعرات المخضرمات، إذ أسلمت مع قومها بني سليم، وهي من الشاعرات المجيدات (ت:٢٤هـ)، ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري، عز الدين ابن الأثير، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م: ٧ / ٤٢ .

(٧) ديوان الخنساء: تماضر بنت عمرو السلمية المعروفة بالخنساء، تح: حمدو طمّاس، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤ م: ٤٦ ، ويضرب للشيء الظاهر المشتهر، ينظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم: ١ / ٢١٩ .

فهذا ليس فيه واقعة أو حال سابقة ضرب لها، وإنّما تشبيه بصورة محسوسة يتخيلها السامع، وقد ورد هذا النوع في القرآن الكريم:

إنَّ الكلام الحكيم الموجز إذا سار وتداول بين الناس، وكَثُرَ تّمثلهم به يصبح مثلاً، وبعض من الآيات أو أجزاء منها تسير في كلام الناس، فهي لم تُعدُّ من الأمثال عند أول نزولها، ولكن بعد أن تمثّل بها وسارت على الألسن عدت أمثالاً[١]، وأمثلة ذلك كثيرة منها:

تمثيلهم بقولهِ تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾[٢]

وأورد الرازي فيها هل جزاء التوحيد غير الجنَّة، فهنا تأكيد للمؤمنين أنَّ جزاء من قال: لا إله إلاَّ الله يدخله الله تعالى في جنته، ومن أحسن في الدنيا بالتقوى والعبادة يجزى بمثل الإحسان في الآخرة بالنعيم، وهذه بعض من الوجوه، وإمّا الأقرب فإنَّهُ عامٌّ، فجزاء كُلِّ من أحسن الى غيره أن يُحسينَ هو إليه أيضاً[٣]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾[٤]، أي: وضح وأنكشف وَتَمَكَّنَ واستقرّ في الأرض، وبانت حصة الحقِّ من حصة الباطل[٥] .

ثانياً: في المعنى الثاني للفظ ((مثل)):

يطلق لفظ ((مثل)) بمعنى وصف الشيء، ولم يذكروا له مثالاً فيما اطلعت عليه في القواميس وكتب المفردات وغيرها، وهذا النوع يستعمل في القرآن كثيراً، وفُسِّرَ لفظ ((مَثَل)) بمعنى ((الصفة)) بعض العلماء المتقدمين، ومصادر المفردات تثبت هذا المعنى[٦]، كما في قوله تعالى:﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ﴾[٧]، أي: صفة الجنة التي وعدها المتقون[٨] .

---

(١) ينظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: ١ / ٥٠ .

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٦٠ .

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٩ / ٣٧٧ .

(٤) سورة يوسف، الآية: ٥١ .

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٨ / ٤٦٨ .

(٦) الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: ١ / ٥٠ .

(٧) سورة الرعد، الآية: ٣٥ .

(٨) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري تح: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م: ١٦ / ٤٦٩ .

إذْ وصف الله تعالى الجنة بثلاث صفات وهي: أنها تجري من تحتها الأنهار، وأنَّ أكلُها دائمٌ أي: أنَّ ثمارها دائمة غير منقطعة، وظِلَّها دائمٌ أيضاً، ومعناه أنَّهُ لا يوجد حرٌ ولا بَردٌ ولا شمسٌ ولا قمرٌ ولا ظلمةٌ[١] .

ثالثاً: في المعنى الثالث للفظ ((مثل)) .

يطلق لفظ ((مَثَّل)) بمعنى ((المِثل)) وهو النظير، والمثل هو اظهار معنى في صورة موجزة لها وقعها في النفس، سواء أكانت تشبيهاً أم قولاً مرسلاً[٢]، ويأتي بالمعنى نفسه أي: ((النظير)) في قسم كتب التفسير ومعاجم اللغة[٣]، ووردت كلمة المثل في تفسير الرازي بعدة معانٍ بحسب سياق الآية التي توجد فيها كلمة المثل: والمِثلُ بمعنى العِدلُ، والضِّعفُ، والمِثلُ كُفُوٌ وكُفءٌ وَكِفَاٌ[٤] .

وورد هذا النوع من الأمثال كثيراً في القرآن الكريم، وقد صرفها الله للناس بمختلف تصاريف الكلام والأمثال الواردة بمعنى ((مثِل)) أي: النظير وردت على اربعة أقسام:

١. مجيء لفظ ((مثل)) مقترناً بالتَّشبيه كقوله تعالى:﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾[٥]، والتَّشبيه هنا: أنَّ الإنسان خُلِقَ مُركّباً من الجسد والنَّفس، وجُعِلَ للجسد بصراً وسمعاً وكذلك حصل لجوهر الروح سمعٌ وبصرٌ، وإذا كان الجسد أعمى وأصم بقيَ متحيراً، ويكون كالتائه بين الظلمات لا يبصر نوراً ولا يسمع صوتاً يهتدي به، وكذلك الجاهل الضّال المُضلُّ[٦] .

وكثير ما يجيء هذا النوع في القرآن بلفظ ((مثل)) مقروناً بكاف التشبيه، نحو: قوله تعالى:﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا﴾[٧]، وأورد الإمام الرازي تساؤلاً، وهو كيف مُثِّلت الجماعة بالواحد؟ فأجاب: ((أَنَّ المنافقين وذواتهم لم يشبِّهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد وإنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد))[٨]، والغرض منه تشبيه الفتنة التي حاول المنافقين

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٩ / ٤٦ .

(٢) مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، ط٣، مكتبة المعارف، ٢٠٠٠م: ٢٩٢ .

(٣) الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: ١ / ٦٣ .

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٢ / ٣٦٥ .

(٥) سورة هود، الآية: ٢٤ .

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٧ / ٣٣٥ .

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٧ .

(٨) مفاتيح الغيب: ٢ / ٣١٣ .

إثارتها بهذه النّار، فهي فتنة قليلة البقاء قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾[1][2] .

٢. عدم مجيء لفظ ((مثل)) والاكتفاء بالتَّشبيه فقط كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[3]، وهذه الآية قامت على التَّشبيه أما مركباً، أي: أنَّهُ من أشرك بالله فقد هلك نفسه ليس بعده هلاك، ويكون كالذي خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح، وأمّا اذا كان التَّشبيه مفرقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، ومن تركه وأشرك بالله كالساقط من السماء والأهواء التي تشتت أفكاره بالطيرِ المختطفةِ، والشَّيطان الّذي يطرحهُ في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة[4] .

٣. عدم مجيء لفظ ((مثل)) ومن دون أداة تشبيه كقوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾[5]، وهذا مثل ذكره الله تعالى في حق من يتّبع إنفاقه بالمنِّ والأذى، فمن أنفق لأجل الله تعالى، فكان ذلك نظيره للجنة المذكورة وهو يوم القيامة، كذلك الشخص العاجز الذي يكون كل انتفاعه على تلك الجنة وأما إذا أعقب إنفاقه بالمن أو بالأذى كان ذلك كالإعصار الذي يحرق تلك الجنة، والمال المؤذي اذا قَدُمَ يوم القيامة، وكان محتاج الى ثواب عمله فلم يجد شيئاً فيبقى لا محالة في أعظم غم، وهذا المثل في غاية الحسن ونهاية الكمال[6]، والمراد أنَّ هذه الآية تضمنت مثلاً ضرب من دون لفظ ((مثل)) أو أداة من أدوات التشبيه.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٦ .

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢ / ٣١٣ .

(٣) سورة الحج، الآية: ٣١ .

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٣ / ٢٢٣ .

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٦ .

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب: ٧ / ٥٠ .

٤. مجيء الأمثال بأسلوب الاستعارة التمثيلية كما في قوله تعالى:﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[١]، فالتمسك بكل شيء من خلاله يتوصل به إلى الحقُّ في طريق الدين، وهي أنواع كثيرة، فهنا الحبل أستعير ودل على التمسك بهذه الأمور[٢]، وأتت الاستعارة في هذه الآية لتصور ضرورة الالتزام بالدين الإسلامي للنجاة من الوقوع بالعذاب، وتتخذ أسلوب الأمر فتحقق بذلك غايتها[٣] .

رابعاً: في المعنى الرابع للفظ ((مثل)) بمعنى المثال

وعبَّرَ عنه بعضهم: ((إطلاق كلمة المثل بمعنى النموذج من ذي أفراد متعددة))[٤]، والمثال: بمعنى مقابلة الشيء بشيء هو نظيره، أو وضع شيء ما ليحتذى به فيما يفعل[٥]، وَيَرِدُ لفظُ ((مثل)) بمعنى مثال على شكل أنموذج يجمع حقيقة الشيء وصفاته، كأنْ يكون اتباع شيء ما أو ضده ليحذر من طريقتهم .

وجاء هذا النوع في كلام الله تعالى، عندما يمثّل الله تعالى للمؤمنين بأمثالهم من الأمم السالفة ليقتدوا بهم في طاعتهم على نهج ربهم، ويمثل للكافرين وغيرهم من الضلال أمثالهم حتى يتعظوا ويحذرهم من أتباع طريقتهم[٦]، كما في قوله تعالى:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ﴾[٧] أي: يبين الله تعالى للناس أن الكافر متّبعاً للباطل، والمؤمن متّبعاً للحق، فأحدهما يورث إبطال الأعمال وهو الكافر، والآخر يورث تكفير السيئات وهو المتبع للحق، فكأنما قال الكفر الإيمان مثلان فيهما حكمان وعلم سببه، وهو اتباع الحقّ والباطل[٨] .

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣ .

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٨ / ٣١١ .

(٣) الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم: صفاء حسني عبد المحسن الترك، رسالة ماجستير في اللغة العربية كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين ٢٠١١م: ١١٩.

(٤) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع: عبد الرحمن حنبكة الميداني، ط٢، دار القلم – دمشق ١٩٩٢م: ٢٤ .

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٤٦٣ .

(٦) الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: ١ / ٧٥ .

(٧) سورة محمد ﷺ ، الآية: ٣ .

(٨) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٨ / ٣٧ .

يستخدم لفظ ((مثل)) بمعنى ((المثال)) في ضرب المثل الإيضاح القاعدة أو القضية أو الفكرة والاستشهاد لها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[١]، أي: لا يأتونك بمثل من الجنس من الشبهات، وهي أنَّهُ قولهم لو نُزِّلَ عليه القرآن جملة واحدة، ولو نُزِّلَ جملة واحدة لنزلت الشرائع بأسرها دفعة واحدة ويثقل على الخلق ذلك، الا جئناك بالحق الذي يدفع قولهم[٢]، والمثل هنا يراد به: الشاهد والحجة التي تورد وتنصب للعقول لتدل على صحة الدعوى وهي بعدِّ موُرِدها شاهد وحجة، وأما في واقع الحال وحقيقة الأمر، فقد تكون حجة صحيحة وقد تكون شبهة[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ قال: ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾، أي: ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم[٤]، والمراد أنَّهُم كلّما جاؤوا بقول يجعلونه شاهداً وحجة على صحة ما يقولون، فإنَّ الله ينزل على رسوله ﷺ شواهد الحق الواضحة البينة التي تدفع ما جاؤوا به[٥] .

ونستطيع أنْ نقول: المثل يرد في حادثة معينة مناسبة لورود المثل فيها، ثم يُتداول بين السنة الناس في عدة وقائع تشابهها في بعض الجوانب لما فيه من إيجاز وغرابة وضبط التصوير فتصبح أمثال مشهورة، فهي قصيرة موجزة الغرض منها هو الاتعاظ بمواردها[٦]، وهناك فرق بين المثل والحكمة، وهو أن المثل إذا شاع وانتشر ودار على ألسن الناس، أما الحكمة هي قول صائب صادر عن تجربة إذا لم يتداول، ويكون مثلاً إذا كَثُرَ استعماله واستعمل في مناسبات مختلفة،

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٣ .

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٤ / ٤٥٧ .

(٣) ينظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: ١/ ٧٩ ، ٨٠ .

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ ، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م: ٦ / ١٠٩ .

(٥) ينظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للأيمان بالله: ١ / ٨٠ .

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م: ١ / ١١٨ .

وتسمية الشيء بالمثال، فهو مناسب ومشابه بين موردين على وجه يصبح مثالاً لكل ما هو على غراره[١].

المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبّهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره[٢] .

والمثل القرآني: هو ((أسلوب بياني يجمع في طيَّاته، نماذج حية مستمَدَّة من الواقع المشاهد لتكون هذه النماذج أقيسة عامة للحقائق المجرَّدة، أو الأعمال المجرَّبة، أو الأمور التي لا تقع تحت الحسِّ والإدراك في الدنيا، والتي يتَّرتب عليها أحكام شمولية، ويُبنَى عليها صلاح أمر الناس في الدنيا والآخرة))[٣] .

وبهذا الإطلاق العام لمعنى المثل في القرآن الكريم نفهم معنى قوله تعالى:﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾[٤]، وهذه الآية كما يقول الرازي تحتمل وجوهاً منها، ولقد صرَّفنا للناس، أي: أخبرناهم بأنَّ الَّذين بقوا مصرّين على الكفر مثل قوم نوح وعاد وثمود كيف ابتلاهم بأنواع البلاء، ثم إن هؤلاء الأقوام يعني: أهل مكة لم ينتفعوا بهذا البيان، بل بقوا مصرين على الكفر[٥] .

ثانياً: أقسام الأمثال وأغراضها وسماتها .

أ. أقسام الأمثال بصورة عامة

١. المثل الموجز السائر: ((وهو إمّا شعبي لا تعمّل فيه، ولا تكلّفُ ولا تقيّد بقواعد النحو)) . وإمّا كِتَابيّ، صادر عن ذوي الثقافة العالية كالشعراء والخطباء[٦]، كقولهم: ((رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثاً))[٧] .

---

(١) ينظر: الأمثال في القرآن الكريم: العلامة المحقق جعفر السبحاني، ط١ ، اعتماد – قم، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ١٤٢٠هـ: ١٠ .

(٢) مجمع الأمثال: ١ / ١ .

(٣) دراسات في علوم القرآن: محمد بكر إسماعيل، ط٢، دار المنار، ١٩٩٩م: ٣٠٠ .

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٩ .

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢١ / ٤٠٧ .

٦ الأمثال في القرآن الكريم: لابن القيّم الجوزية، تح: محمد سعيد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت: ١٩ .

(٧) مجمع الأمثال: ١ / ٢٩٤ ، رقم المثل: ١٥٥٥ .

وقد تناول الأمام الرازي بعض من الأمثال السائرة نذكُر منها حيث قال: ((المرءُ يسعى لعاريةِ بطنهِ وفرجه))[١]، فمن أكثر الصوم هان عليه أمر هذين وخفت عليه مؤنتهما، أي: أمر شهوة البطن والفرج فإنَّ الصّوم يورث التقوى لِما فيه من انكسار الشّهوة وانقماع الهوى، فكان ذلك رادعاً له عن ارتكاب المحارم والفواحش، ومهوناً عليه أمر الرّياسة في الدنيا وذلك جامع لأسباب التقوى فيكون معنى الآية فَرَضتُ عليكم الصيام لتكونوا به من المتقين الذين أثنيت عليهم في كتابي[٢] .

وإمّا تمثيلاً رمزياً وهو ما ينقل عن لسان الطيور والنباتات والأحجار بصورة الرمز والتعمية ويكون كناية عن معاني دقيقة، وهذا النوع من التمثيل يعج بها كتاب ((كليلة ودمنة)) لابن المقفع (ت:١٤٢هـ)[٣]، ويسمى بالمثل الخرافي، وهو ما ينتسب فيه أفعال البشر إلى الحيوان أو الطير أو الكائن الخارق، ويكون هدفه تعليمياً أو عظة أو تحذيرا، وما شابه فهو يأتي على شكل قصص خيالية أو فرضيات، أو على شكل خرافات وأوهام[٤] .

٢. المثل القياسي: ((وهو سرد وصفيّ أو قصصيّ، أو صورة بيانية لتوضيح فكرة معينة عن طريق التشبيه والتمثيل، ويسمى بالتمثيل المركّب، أو التشبيه المتعدّد))[٥]، ((وتمثيل شيء بشيء قد يكون تمثيلاً بسيطاً وقد يكون تمثيلاً مركباً))[٦]، والمثل القياسي يُراد بالأشياء المذكورة فيه لتوضيح الفكرة عن طريق التّشبيه والتّمثيل .

أما التمثيل البسيط: فهو ((تمثيل شيءٍ بشيءٍ آخر مفرد يماثله بوجه أو جانب من الوجوه: كتمثيل من يحمل العلم ولا ينتفع به بالحمار الذي يحمل أسفار العلمِ على ظهرِه، وكتمثيل الجالس بمجلس العلم وهو لا يعي من العلم شيئا بالخشبة المسندة الى جدار، فهو تمثيل مفرد بمفرد))[٧] .

---

(١) مفاتيح الغيب: ٥ / ٢٤٠ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥ / ٢٤٠ .

(٣) ينظر: الأمثال في القرآن الكريم: العلامة المحقق جعفر السبحاني: ١٩ .

(٤) ينظر: الأمثال والمثل والتمثل والمثلات في القرآن الكريم: سميح عاطف الزين، ط٢، دار الكتب اللبناني بيروت، دار الكتاب المصري القاهرة ، ٢٠٠٠م :٢٩ .

(٥) الأمثال والمثل والتمثل والمثلات في القرآن الكريم: ص: ٢٨ .

(٦) الأمثال في القرآن الكريم: ٢٠ .

(٧) الأمثال القرآنية (دراسة وتحليل وتصنيف ورسم لأصولها وقواعدها ومناهجها): عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، ط١، دار القلم دمشق ، بيروت ١٩٨٠م: ٧/ ٨ .

اما التّمثيل المركّب أو القياسي: ((هو الذي يكون على شكل لوحة تخيل أكثر من مفرد، ووجه الشبه فيه لا يكون مأخوذاً من مفرد بعينِه، وانما يكون مأخوذاً منه ومن غيره، أو من الصورة العامة))[١] .

ب. أقسام المثل من حيث التّشبيه هي:

١. التّشبيه المركّب: تمثيل تحصل فيه المشابهة بين المراد أو المقصود من الجملتين وإن لم تحصل المشابهة بين أجزاء الجملتين، أو تكون المشابهة بين المقصود من الجملتين، وبين أجزاء كل واحد منها، فهذا يعتبر تشبيه من حيث التقدير[٢] .

وَيَرِدُ هذا النوع لأجل تشبيه شيء بشيءٍ آخر لتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، وللتأديب والتهذيب، ويجمع ما بين عمق الفكرة و جمال التصوير[٣] .

٢. القياس: ((فيتضمنه المثل من حيثُ وضعه اللغوي وأسلوبه الذي يقوم على التشبيه كما في الأمثال التمثيلية، أو أنَّهُ يستلزم القياس حيث لا يتم قصد المتكلم ولا اعتبار المخاطب إلا بإجراء القياس، كما في الأمثال الأنموذجية))[٤] .

٣. الحكمة: وهي النتيجة والمعنى والأحكام والعبر والبراهين ونحوها التي يتضمنها ويحتويها المثل.

والقياس في الأمثال يأتي بطريقين: أحدهما: التشبيه كقوله تعالى:﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾[٥] فهذا تمثيلٌ لا يشمل جميع الكلاب، وإنّما في الكلب اللاهث، فمن آتاه الله تعالى العلم والدين ثم مالَ إلى الدنيا، وألقى نفسه فيها وأخلد الى الأرض، فشبه حاله كحال ذلك اللاهث، واستمر على هذا العمل الخسيس والقبيح؛ لأنَّ نفسه خبيثة، وليس لأجل حاجة وضرورة[٦] .

---

(١) الأمثال والمثل والتمثل والمثلات في القرآن الكريم: ٢٧ .

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٨ / ٣٣٦ .

(٣) ينظر: الأمثال والمثل والتمثل والمثلات في القرآن الكريم، ص: ٢٨ .

(٤) الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: ١ / ٩٣ .

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦ .

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٥ / ٤٠٥ .

ثانيهما: إبراز النموذج الّذي يُرادُ أن يُحتذى والشاهد والحجة، ليقاس عليها ويعمم حكمها لكل من تحقق فيه وصفها، كقوله تعالى:﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾[1][2]، فهنا أبرز لنا أنموذجاً، وهو امرأة فرعون ليتحذى به ومن خلاله بين للمسلمين أن وصلة الكافرين لا تضرهم وبيّن منزلتها عند الله تعالى نتيجة الإيمان الذي كان بداخلها مع كونها زوجة ظالم وعدو الله[3] .

٣. التمثيل القصصي: هو بيانُ أحوال الأُمم الماضية بغية أخذ العبر للتشابه الموجود، يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾[4]، فهنا بيّن أنَّ من يكفر بالله ويتعدى على المؤمنين يعاقبون مثل عقاب امرأة نوح ولوط ولم يغنِ هذانِ الرسولانِ، وقيل لهما في اليوم الآخر ادخلا النار[5]، والقصص الواردة في أحوال الأُمم الغابرة التي يعبر عنها بقصص القرآن، هي تشبيه مصرّح وتشبيه كامن والغاية هي أخذ العبرة[6] .

وخلاصة القول: إنّ الأمثال التي جاءت في القرآن الكريم إمّا مقترنة بكلمة المثل، أو تجيء مع لفظ الضرب حيث وردت في قسم كبير من أمثال القرآن، أو تجيء بكاف التشبيه أو من دونهِ وتارة لإبراز نموذجٍ ليتحذى به، وتارة بأسلوب الاستعارة التمثيلية، وتارة من دون كاف التشبيه ودون لفظ المثل، وتارة يأتي لفظ المثل مقترناً بالتشبيه .

ت. أغراض الأمثال القرآنية:

العربُ تَضرِبُ الأمثالَ حتى تصل فكرة من الأفكار، أو موضوع معين الذي من أجله يُضرب المثل للناس، بطريق قريب، ووقتٍ قليل، وبأوضح صورة، وأبلغ مقام، ومن ثم تلخيص الفحوى وفهم العبرة منه، واستيعابها واستقرارها في الذهن، وتكون مترسخة في الذاكرة مهما مر الزمان عليها، أو تغير الأحوال[7] .

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١١ .

(٢) ينظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: ١ / ٩٣ .

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٠ / ٥٧٤ .

(٤) سورة التحريم، الآية: ١٠ .

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٠ / ٥٧٤ .

(٦) ينظر: الأمثال في القرآن الكريم، العلامة المحقق جعفر السبحاني:٢٠.

(٧) ينظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: ١ / ١٥٤ .

وأيضا جاءت الأمثال في القرآن من أجل أغراضٍ عديدة منها :

وتلك الأغراض تدور حول محور أساس، وهو البيان والإيضاح لمراد الله تعالى، والبلاغ لحقيقة دينه، وحقيقة ما يضاده[١] .

١. ((الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحس مطابقاً للعقل وذلك في نهاية الإيضاح))[٢]، وهي تعد من الطرق الموضحة للعلوم؛ ولأنها تقرب الأمر المعقول بالأمر المحسوس، فيوضح المعنى المطلوب بسببها، فهي مصلحة لعموم الناس[٣]، لذلك قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[٤]، وأورد الإمام الرازي هنا تساؤلاً سأله الكافرون قالوا كيف يضرب الله تعالى الأمثال بالهوام والحشرات كالبعوض والذباب والعنكبوت؟ حيث قال: ((إنَّ الأمثال تُضرب للناس إنْ لم تكونوا كالأنعام، أي: إذا كنتم كالأنعام تسير خلف الراعي ولا تعلم اين تذهب فهي مسيرة، يحصل لكم منه إدراك ما يوجب نفرتكم أي: تحذيركم مما أنتم فيه، وذلك لأنَّ التَّشبيه يؤثر في النفس تأثيراً مثل تأثير الدليل، فإذا قال الحكيم لمن يغتاب إنك بالغيبة كأنك تأكل لحم ميت لأنك وقعت في هذا الرجل وهو غائب لا يفهم ما تقول ولا يسمع حتى يجيب كمن يقع في ميت يأكل منه وهو لا يعلم ما يفعله ولا يقدر على دفعه إن كان يعلمه فينفر طبعه منه كما ينفر إذا قال له إنَّهُ يوجب العذاب ويورث العقاب))[٥]، فبعدما بين الله تعالى لهم فساد معتقدهم في الأصنام، وأعقبه بتوقفهم على جهلهم بذلك، لذا نعى عليهم في هذه الآية أنهم ليسوا بأهل لتفهم تلك الدلائل الّتي قربت إليهم بطريقة التّمثيل، فاسم الإشارة يبينه الاسم المبدل منه وهو الأمثال[٦]، ((ولضَربِ العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق،

---

(١) ينظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله:: ١ / ١٥٤ .

(٢) مفاتيح الغيب: ٢ / ٣١٢ .

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م:٦٣١ .

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣ .

(٥) مفاتيح الغيب: ٢٥ / ٥٩ .

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠/ ٢٥٥ .

حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، و المتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد))[١]، فقال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَالُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ أي: وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه[٢] .

٢. تقريب صورة الممثّل له إلى ذهن المخاطب عن طريق المثل، فقد يكون المخاطب عنده نوع من الجهالة حول الممثل له، ولابد من رفعها عنه، ففي هذا الجانب قد يكون التمثيل وسيلة سهلة للتعليم ورفع الجهالة، وقد يكون أحسن الوسائل عند تعذّر إحضار الممثل له، أو إحضار صورته بالفعل أمام المخاطب الذي يُراد رفع الجهالة عنه[٣]، فالأمثال تُضربّ لإيضاح المراد وتقريبه للمخاطب[٤] إذا جُعِلَ الكلام مثلاً، فكان ذلك أوضح للمنطق، وأبيّن في المعنى[٥]، :((لكنَّ الممثل له قد لا يكون ذا صورة مادّية يمكن أن تدرك بالحس الظاهر، بل أمراً فكرياً ذهنياً أو وجدانياً، وقد يكون ذا صورة مادّية يمكن أن تدرك بالحسّ الظاهر، ويُراد من المثل في الحالة الأولى تقريب الصورة الذهنية أو الوجدانية، وفي الحالة الثانية تقريب الصورة المادّية لذهن المخاطب))[٦]، فمثال ذلك: يخبرنا الله تعالى عن الحور العين على شكل صور يمكن أن تدرك بالحسّ الظاهر، ولكنّهنّ مجهولات لنا بعيداتٌ عن إدراكنا الحسي، وتصورنا الخيالي، فهنا يقرب الله تعالى لنا جانباً من صورة بشرتهنّ ونعومتها[٧]، فقال الله تعالى:﴿وَحُورٌ عِينٞ ٢٢ كَأَمۡثَالِ ٱللُّؤۡلُؤِ ٱلۡمَكۡنُونِ﴾[٨]، فهنا الكاف أتت للتشبيه والمثلُ حقيقةٌ فيه، فهنا جمع بين كلمتي التشبيه للدلالة على التأكيد والزيادة في التّشبيه، ثم ذكر صفة تقريبية لهن وهي:﴿ٱللُّؤۡلُؤِ ٱلۡمَكۡنُونِ﴾ فهنا إشارة إلى غاية صفائهن، أي: اللؤلؤ الذي لم يغير لونه الشمس والهواء[٩] .

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ط٣، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٤٧٠هـ: ١/ ٧٢ .

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٦/ ٢٧٩ .

(٣) ينظر: الأمثال القرآنية، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني:٤٠ .

(٤) ينظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: ١ / ١٥٥ .

(٥) ينظر: الأدب الصغير والأدب الكبير: عبد الله بن المقفع (ت:١٤٢هـ)، دار صادر، بيروت: ٢٧ .

(٦) الأمثال القرآنية، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني: ٤١ .

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٤١ .

(٨) سورة الواقعة، الآية: ٢٢ / ٢٣ .

(٩) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٩ / ٣٩٨ .

٣. ((وهي تؤثر في القلوب أكثر من وصف الشيء في نفسه، فهي تشبه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويكون الحس مطابقاً للواقع وذلك في نهاية الإيضاح))[١] ولها موقع في الأسماع وتؤثر في القلوب ولا يكاد الكلام المرسل يبلغُ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها؛ لأنَّ المعاني بها لائحة، والشواهد بها واضحة، فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابة، لأنَّها في العقول معقولة، وفي القلوب مقبولة[٢] .

٤. الإفهام وتقريب المعاني[٣]، فهي تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس، فيتقبله العقل؛ لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة الفهم[٤] فينطبق المعقول على المحسوس وحصل به الفهم التام والوصول الى المطلوب[٥]، كما ضرب الله مثلاً لحال المنفق رياء، حيث لا يحصل من إنفاقه على شيء من الثواب، فقال الله تعالى:﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ﴾[٦]، ((فكما أن الوابل أزال التراب الذي وقع على الصفوان، فكذا المن والأذى يوجب أن يكونا مبطلين لأجر الإنفاق بعد حصوله، وذلك صريح في القول بالإحباط والتفكير))[٧] .

٥. الكشف عن الحقائق، ووضع الغائب في معرض الحاضر[٨]، كقوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾[٩]، فهنا كشف عن حقيقة آكلي الربا فشبه حال بعثهم من القبور فإنهم يقومون ويسقطون، ويقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس لأنهم

---

(١) مفاتيح الغيب: ٢ / ٣١٢ .

(٢) ينظر: أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م: ٢٨٦ .

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٩ / ٩٣ .

(٤) ينظر: مباحث في علوم القرآن: ٢٩٧ .

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٩ / ٩٣ .

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤ .

(٧) مفاتيح الغيب: ٧ / ٤٤ .

(٨) ينظر: مباحث في علوم القرآن: ٢٩٨ .

(٩) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥ .

أكلوا الربا في الدنيا، فأرباه الله في بطونهم يوم القيامة حتى أثقلهم فهم ينهضون، ويسقطون ويريدون الإسراع، ولا يقدرون[١] .

وخلاصةُ القولِ: إنَّ الأمثال القرآنية اشتملت على أغراضٍ عدة لا يمكن حصرها هنا، فمنها جاءت للتشبيه، وللمدح والذم، وجاءت كاشفة عن الحقائق، وتبرز المعنى المعقول في صورة محسوسة، وتشبه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، إلى غيره من الأغراض التي احتوتها .

ح. خصائص الأمثال القرآنية وسماته:

من تتبع في الأمثال القرآنية وتمعّن فيها وجدها تشتمل على عديدة خصائص جمعها القرآن الكريم في أمثاله، فكانت الذروة العليا من البلاغة والتأثير في القلوب والعقول .

نذكر بعضاً منها:

١. الدقّة في التصوير مع إبراز العناصر المهمّة من الصورة التمثيلية[٢]، كما في قوله تعالى:﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾[٣]، فهنا نلحظ في هذا المثل تصوير دقيق، فشبّه أعمالهم كأنَّهُ رمادٍ مجتمع غير متماسك بين ذراته، وهو خفيف أيضا فاشتدت به ريح عاتية في يومٍ عاصف[٤] فدقة التصوير بين هذا المثل وأعمال الكفار، وهو أنَّ الرّيح العاصف تُطيرُ الرَّماد وتفرِّق أجزاءه بحيث لا يبقى لذلك الرَّماد أثرٌ ولا خبرٌ، فكذا هاهنا أنَّ كفرهم أبطل أعمالهم وأحبطها بحيث لم يبق من تلك الأعمال معهم خبرٌ ولا أثرٌ[٥] .

٢. ((المثل القرآني قد يكون حقيقياً، أو فرضياً))[٦]، ففي حالة كون المثل حقيقياً، أو يعبر عن حقيقة فإنَّهُ يطلق على ذات الشيء كما في قوله تعالى:﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[٧]،أي: كمن هو

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٧ / ٧٦ .

(٢) ينظر: الأمثال القرآنية: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني: ٨٣ .

(٣) سورة أبراهيم، الآية: ١٨ .

(٤) ينظر: الأمثال القرآنية: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني: ٨٥.

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٩ / ٨١ .

(٦) الأمثال والمثل والتمثل والمثلات في القرآن الكريم: ٣٥ .

(٧) سورة الانعام، الآية: ١٢٢ .

في الظلمات منغمسٌ فيها لا خلاص له منها، فيكون متحيّراً على الدوام، وهذا هو حقيقة حال الكافر[١] .

أما في حال كونه فرضياً، فإنَّهُ يأتي على صورة التَّشبيه، كما في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢]، فهنا شَبّهَ حال الّذينَ أعرضوا عن العمل بالتّوراة، فَشُبِّهوا بالحمار؛ لأنَّهم لو عملوا بمقتضاها لانتفعوا بها، ولم يوردوا تلك الشبهة؛ وذلك لأنَّ فيها نعت الرسولﷺ، والبشارة بمقدمه والدُّخول في دينه[٣] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾[٤]، التفسير الظاهر: هو نزول الماء، وسيلان الاودية بالماء، ثم صار زبداً رابياً، والمحصلة النهائية: فاد نفسه فقط، فاد واستفاد، فاد ولم يستفاد، لم يفد ولم يستفاد .

التفسير الباطن: نزول العلم، وسيلانه في القلوب والعقول، وللناس جميعاً، والمحصلة النهائية: فاد نفسه فقط، فاد واستفاد، فاد ولم يستفاد، لم يفد ولم يستفاد .

٣. ومن سمات المثل القرآنيّ القياس التمثيليّ[٥]، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾[٦]، فهذه الآية من حيث المبنى هي من أحسن القياس التمثيلي، لأنَّها تُشبه النيلّ من عرض الإنسان أو من شرفه وكرامته بالتمزيق في لحمه وأكله[٧]، ففي هذه الآية نهى عن اغتياب المؤمن من دون الكافر؛ لأنَّهُ شبَّههُ بأكلِ لحم الأخ،

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٣ / ١٣٢ .

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٥ .

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٠ / ٥٣٩ .

(٤) سورة الرعد، الآية: ١٧ .

(٥) ينظر: الأمثال والمثل والتمثل والمثلات في القرآن الكريم: ٣٧ .

(٦) سورة الحجرات، الآية: ١٢ .

(٧) ينظر: الأمثال والمثل والتمثل والمثلات في القرآن الكريم: ٣٧ .

والحكمة من هذا التشبيه إشارة إلى أنَّ عرض الإنسان كدمه ولحمه أشرفُ من لحمه، وهذا من باب القياس الظَّاهر[١] .

٤. يسرد المثل قصة كاملة للمتمثل له، أو يعرض صورة مجازية مبسوطة جيء بها للإيضاح والتصوير، أو قصد التأديب، ويتّسم بالإطناب، وعمق الفكرة، وجمال التصوير[٢] .

٥. ((التنويع في عرض الأمثال، مرّةً بالتشبيه، ومرّة بالعرض المفاجئ، وبالتمثيل البسيط، وأخرى بالتمثيل المركب الذي يطابق كلّ جزء منه جزءاً من الممثّل له، أو ينتزع منه وجه الشبه بنظرة كلّية عامّة، وغير ذلك من فنون القول وأساليبه))[٣] .

٦. المثل القرآني ذو وجهين، ظاهر وكامن[٤] .

المثل الظاهر هو المصرَّح به، كما في قوله تعالى:﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾[٥]، والمثل الكامن هو الذي لا يظهر فيه المثل نحو قوله تعالى:﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ﴾[٦] .

ثالثاً: مفهوم السياق القرآني .

أوّلاً: السياق لغة:

كان لعلماء اللغة العربية جهود رائعة في العناية بالسياق القرآني، فقد أشاروا إلى أنَّهُ جاء بألفاظ مختلفة ولمعانٍ متعددة: وجاء في كتاب المفردات ومعجم لسان العرب: السَّوق معروفٌ، ساقَ الابلُ وغيرهَا يَسُوقها سوقاً وسياقاً، وهو سائقٌ وسَوَّاق، شدَّد للمبالغة، وفي الحديثِ: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ،

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٨ / ١١٠ .

(٢) ينظر: عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن: ١٨٠ .

(٣) ينظر: الأمثال القرآنية: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني: ٨٣ .

(٤) ينظر: الأمثال والمثل و التّمثُّل والمُثُلات في القرآن الكريم: ٣٩ .

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧ .

(٦) سورة البقرة، الآية: ٦٨ .

حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ، يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ))[١]، هو كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفاقهم عليه، ولم يُرِد نفس العَصَا، وإنما ضَرَبَها مثالاً لاستيلائهِ عليهم وطاعتهِم لَهُ، ويقال سَوَّاق الابل يَقدُمُها، ومن رُويدك سَوقَك بالقوارير، وقد أساقت الإبلُ تساوقاً إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متُقاودة ومُتَساوِقة، والمساوقة: المُتابعة كأنَّ بَعضُها سِوقُ بعضاً[٢]، وهنا جاء السياق أيضاً بمعنى التّابع والاستقامة، لذلك كان الهدف من استخدام السياق القرآني هو إنهُ قاعدة اساسية وأصح الطرق لتفسير النصوص إذا بدون السياق وأركانه ((السباق واللِحاق)) لا يستقيم المعنى وإهمالهُ قائد إلى الزلل، وقال ابن فارس: ((أنَّ السياق هو من الجذر اللغوي ((سوق)) والسِّينُ والوَاوُ أصلاٌ وَاحِدٌ، وهو حَدوُ الشَيءِ، وَيُقَالُ امرَأَةٌ سَوقَاءُ، وَرَجُلٌ أَسوقُ، إذا كَانَ عَظِمَ السَّاق))[٣] .

فنلحظ من خلال هذا التعريف أنَّ السياق جاء بمعنى التابع، فهو يضم الكلمات عند بعضها بعضاً، ويربط أجزائها، ويأبى تفكيك النصوص عن بعضها بعضاً، ويعود السبب في ذلك الى أن سابق الكلام ولاحقهُ هو الذي يتمم المعنى .

السَّياق: أصلهُ ((سِوَاق)) فقلبت الوَاوُ ياءً لكسرة السين، وهما مصدران من ساق تسوق[٤]، وقيل للمَهر سَوقٌ؛ لأنَّ العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنَم مهراً؛ لأنها كانت الغالب على أموالهِم ثم وُضِعَ السَوَّقَ موضع المهر، وإن لم يكن إبلاً وغنماً[٥]، فهنا جاء السياق بمعنى التقدم، أي: اقتصاص المعنى من خلال النص وتقديمه إلى المتلقي، وجاء أيضاً بمعنى البدل، ويقال: ولدت

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح: ٩ / ٥٨، رقم الحديث: (٧١١٧)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، (بَابُ تَغْيِيرِ الزَّمَانِ حَتَّى تُعْبَدَ الأَوْثَانُ) .

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن: مادة (ساق): ص:٤٣٦، وينظر: لسان العرب: ١٠ / ١٦٦ .

(٣) مقاييس اللغة، كتاب السّين، مادة (سوق): ٣ / ١١٧ .

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين مبارك الشيباني الجزري ابن الأثير، تح: طاهر أحمد الزاوي وآخرون، المكتبة العلمية ، بيروت، ١٩٧٩م: ٢ / ٤٢٤ .

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن، مادة (ساق): ص:٤٣٦ ، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (سوق): ٢ / ٤٢٤ ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن على الفيومي ثم الحموي، المكتبة العلمية، بيروت، مادة (سوق): ١ / ٢٦٩ .

فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد، أي: بعضهم على إثرِ بعض ليست بينهم جارية[١] وهنا السياق جاء بمعنى التسلسل .

وجاء في أساس البلاغة: ساق النعم فانساقت أي: تتابعت، ومن المجاز ساق الله إليه خيراً، وساق إليها المهر، وساقت الرياح السحاب أي: جلبتها، وهو سِوق الحديث أحسن سياق، ((وإليك سياق الحديث))، وهذا الكلام مساقهُ إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقهِ أي: على سرده[٢]، والسياق في هذا الكلام جاء بمعنى التوجيه والسرد، وجاء السياق في الكتاب العزيز بألفاظ مختلفة:[٣]

١. سوق، كما في قال تعالى:﴿أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾[٤] .

٢. سيق، قال تعالى:﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[٥] .

٣. سائق، قال تعالى:﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[٦] .

٤. الساق، قال تعالى:﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾[٧] .

٥. السوق، قال تعالى:﴿وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾[٨] .

ثانياً: السياق اصطلاحاً:

اهتم العلماء والباحثون على مرَّ العصور بالسياق القرآني لكونه من أهم الوسائل المعينة على فهم المعاني، وكان لعلماء التفسير السبق في ذلك فهم اهتموا به اهتماماً كبيراً واستعانوا به في تفسير الكتاب الكريم، إذ إنَّ النصوص الكريمة لها قدسية وخصوصية تختلف عن بقية النصوص كونها كلام الله المعجز، والأصح أن تفسر بالطريقة الأجدر بها لذا كان السياق القرآني أصح

---

(١) ينظر: صحاح اللغة وتاج العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، مادة (سوق): ٤ / ١٤٩٩ .

(٢) ينظر: أساس البلاغة: ١ / ٤٨٤ .

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ص:٤٣٦ .

(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٧ .

(٥) سورة الزمر، الآية: ٧٣ .

(٦) سورة ق، الآية: ٢١ .

(٧) سورة القيامة، الآية: ٢٩ .

(٨) سورة الفرقان، الآية: ٧ .

الطرق لتفسير هذه النصوص الكريمة، ولذا استعرض أهم التعاريف التي ذكرها العلماء والباحثون وهي كالآتي:

١. فالسياق القرآني: هو ((الأغراض التي بُنيت عليها الآية وما انتظم بها من القرائن اللفظية القرائن النصية وهي ما احتواه النص من التعابير والتراكيب والارتباط بين الآيات ونحوها والمقصود بالقرائن الحالية: الأسباب والأحوال التي نزلت فيها الآية))[١]، وأشار الى ذلك عندما فسَّر قوْلهُ تعالى:﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾[٢]، فقال ((إنَّ سياق الآية يقتضي بأن الوعيد مُتعلق بالمعصية في هذه الحدود فقط دون أن يضم الى ذلك تَعدَّي حُدُودٍ أُخره))[٣] .

٢. السياق هو: ((علاقة الكلمة التي وقع فيها المشترك اللّفظي مع ما قبلها وما بعدها من كلمات الجملة، وذلك لأن الكلمات ليست أجساما بلا أرواح، ولكنها حيّة متحرّكة تعطي إشعات معينة للكلمات التي وقع فيها الاشتراك، وهي المفتاح الذي يفتح المغلق منها أو المصباح الذي يهتدي بضوئه على تحديد معاني الكلمة المشتركة))[٤] .

٣. وقيل في أهمية السياق: ((أما السياق والقرائن، فإنَّها الدالة على مُراد المتكلم من كلامه، وهي المرشدة الى بيان المُجملات وتعيين المُحتملات))[٥] .

٤. وَذُكِرَت أهمية السياق في تحديد المعاني المراد من العبارات: السياق القرآني له أثر في تحديد مدلولات العبارات، ونقل المشاهد في النصوص القرآنية إلى حسن المسند كأنها واقعة[٦] .

---

(١) السياق القرآني (أهميته- وضوابطه) للأستاذ هارون الرشيد الاستاذ المساعد في كلية الدراسات الاسلامية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية، اسلام آباد: ٢٧٥ .

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤ .

(٣) مفاتيح الغيب: ٣ / ٥٧٩ .

(٤) المشترك اللفظي في الحقل القرآني: عبد العال سالم مكرم، ط٢، موسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧م: ٢٣.

(٥) إحكام الاحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، مطبعة السنة المحمدية، (د. ت): ٢ / ٢١ .

(٦) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب ابراهيم حسين الشاذلي، ط١٢، دار الشروق – بيروت، ١٩٨٦م: ٣ / ١٢١٤ .

وللسياق أهمية في علم التفسير فقد عرَّفهُ أحمد لافي فلاح المطيري بأنَّهُ ((بيان الكلمة أو الجملة القرآنية منظمة مع ما قبلها وما بعدها))[١] .

وملخص التعريفات السابقة هو: ((القرينة الكاشفة عن معاني المفردات القرآنية من خلال سباق الآيات ولحاقها مع مراعاة الظروف والوقائع المحيطة بالنص القرآني، وذَكَرَت أيضاً بأنَّهُ: الوسيلة الّتي تتكفل ببيان معاني النصوص الكريمة وتوضيحها))[٢] .

ولخص الباحث السياق القرآني بأنَّهُ: الوسيلة التي يمكن من خلالها تفسير النص تفسيراً صحيحاً، أو هو: الأداة الرئيسة التي يتوقف عليها فهم معاني النصوص الكريمة .

رابعاً: السياق القرآني والمثل القرآني

إنَّ الآيات في القرآن الكريم امتدادات لبعضها بعضاً في كل سورة، يأخذك الحديث، ويسير بك موكب من المعاني الحافلة إلى ما بعدها حتى تجد نفسك تتهادى في طريق ذي خصائص معينة وأساليب متناسبة العبارات؛ كلها يُمَهِّدُ القولُ لِما يليه، وتجد المثل في ذلك كالدرة الفريدة التي تقف بك حيثما تجد رحلتك الشيقة موقفاً للراحة يمثل لك ما سبق فيبرز لك صوراً ومشاهد تستيقن فيها من حقيقة التقرير؛ بما أهداك من التصوير[٣] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٤]، حذَّرَ الله تعالى قبل هذا المثل المسلمين من دسائس أولياء الشَّياطين ومجادلتهم بقوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[٥]، وساق المثل بتفظيع حال المشركين، ووصف حسن حالة المسلمين حين فارقوا الشرك، فجاء بتمثيلين للحالتين، ونفى مساواة

---

(١) دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للشنقيطي: دراسة موضوعية تحليلية للباحث أحمد لافي المطيري، رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الأردنية، عمان، تخصص تفسير: ١٤ .

(٢) وظيفة السياق القرآني في تفسير "التلخيص في تفسير القرآن العزيز" للإمام الكواشي، جمعّ ودراسة، الباحثة شيرين وهيب عطية، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية العلوم الإسلامية، جامعة ديالى، إشراف: أ. د رعد طالب:١٥ .

(٣) ينظر: جماليات المثل في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية): سعد قدور عيسات، تح: نور الدين زرادي، جامعة وهران، ٢٠١٥م: ٤٥ .

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢ .

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢١ .

إحداهما للأخرى: تنبيهاً على سوء أحوال أهل الشرك وحسن حال أهل الإسلام، والحالة الأولى: الّذين دخلوا في الاسلام بعد أن كانوا مشركين، وهي المشبَّهة بحال من كان ميتاً مودعاً في ظلمات، فصار حياً في نورٍ واضح، وسار في الطريق الموصِلة للمطلوب بين الناس، والحالة الثانية: حالة المشرك، وهي المشبهة بحالة من هو في الظلمات ليس بخارج منها؛ لأنَّهُ في ظلمات[١]، تتساءل الآية على سبيل التمثيل عمَّا إذا كان يصحُّ في العقل أن يكون من أحياه الله بعد جهله وضلاله وجعل منه نورا يمشي به مثل الذي يتسكع في الظُّلمات لا يستطيع أن يخرج منها، فساق هذا المثل على سبيل التنديد والتقريع بأنَّ الكافرين الَّذين هم الفريق الثاني إنّما صاروا كذلك؛ لأنَّهم زُيِن لهم عملهم المنحرف فرأوه حَسِناً واستمروا فيه[٢] .

فذكر الله تعالى في الآية السابقة أنَّ أكثر أهل الأرض ضالون متبعون للظنون الزائفة والتخمينات، وأنَّ المشركين يجادلون المؤمنين في دين الله، فساق مثلاً يوضح حال المؤمن المهتدي وحال الكافر الضال، فالمؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتاً، فجعل حياً بعد ذلك، وأعطي نورا يهتدي به في مصالحه، وأن الكافر بمنزلة من هو في ظلماتٍ منغمس فيها، لا خلاص له منها فيكون مُتحيراً على الدوام[٣] .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقٗا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[٤]، لقد ساق الله تعالى هذا المثل بعد ما زجرهم عن أن يُشبِّهوا الله بخلقه أو أن يُشبِّهوا الخلق بربهِم بتمثيل حالهِم في ذلك بحال من مثل عبداً بسيده في الإنفاق، فشبه حال أصنامهم في العجز عن رزقهم بحال مملوك لا يقدر على تصرف في نفسه ولا يملك مالا، وشبه شأن الله تعالى في رزقه إياهم بحال الغني المالك أمر نفسه بما شاء من إنفاق وغيره، والمقصود نفي المماثلة بين الحالتين، فكيف يزعمون مماثلة أصنامهم لله

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٨- أ / ٤٣ .

(٢) ينظر: التفسير الحديث، محمد عزت دروزة: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ١٣٨٣هـ: ٤ / ١٥١، ١٥٢ .

(٣) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط٢، دار الفكر المعاصر – دمشق، ١٤١٨هـ : ٨ / ٢٨ .

(٤) سورة النحل، الآية: ٧٥ .

تعالى في الإلهية[١]، وأشار الرازي في تفسيره ((أنَّهُ لا تجوز التسوية بين العبد المملوك الذي لايقدر على شيء، والحر الكريم الغني وهو كثير الإنفاق سِرًّا وَجَهراً فصريح العقل لا يقبل بهذه التسوية، فكيف يجوز للعاقل أن يسوي بين الله القادر على الرزق والإفضال، وبين الأصنام التي لا تملك ولا تقدر البتة، وأشار الرازي أيضاً أنَّ المراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء هو الكافر، فإنه من حيث إنه بقي محروماً عن عبودية الله تعالى وعن طاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز، والمراد بقوله تعالى:﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو المؤمن فإنه مشتغل بالتعظيم لأمر الله تعالى، والشفقة على خلق الله فبين تعالى أنهما لا يستويان في المرتبة والشرف والقرب من رضوان الله تعالى))[٢] . وفي سياق هذا المثل إشارة تنديد إلى الكفار أنَّهم يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم سبباً من أسبابِ الرزقِ، ونهي تقريعي موجه للسامعين أو للكفار المشركين عن جعل الأنداد والأمثال لله، والصلة بين الآيات وسابقاتها مستمرة موضوعاً وسياقاً عند التمعن بها، وفيها من القوة والتنديد اللاذع ما في الآيات السابقة[٣] .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾[٤]، ذكر الله تعالى في الآية السابقة أنواع عذاب الكفّار ثم ساق هذا المثل ليبين أنَّ جميع أعمال الكافرين تصير ضائعة باطلة لا ينتفعون بشيء منها وعند هذا يظهر كمال خسرانهم[٥]، وقد أثار هذا التَّمثيل ما دلَّ عليه الكلام السابق من شدة عذابهم، فيخطر ببالهم أو ببال من يسمع من المسلمين أن يسأل نفسه أن لهم أعمالاً من الصلة والمعروف من إطعام الفقراء وغيرها، فهل يجدون ثواب ذلك؟ وأنَّ المسلمين لمّا علموا أنَّ ذلك لا ينفع الكافرين تطلبت نفوسهم وجه الجمع بين وجود عمل صالح وبين عدم الانتفاع به عند الحاجة إليه، فسياق هذا المثل بيان ما يكشف جميع احتمالات[٦]، وقد تضمن كما هو واضح تلقيناً جليلاً

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤ / ٢٢٣ ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ١٤ / ١٨٦ .
(٢) مفاتيح الغيب: ٢٠ / ٢٤٦ .
(٣) ينظر: التفسير الحديث: ٥ / ١٥٩ ، ١٦٠ .
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ١٨ .
(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٩ / ٨١ .
(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣ / ٢١٢ .

متصلاً بالدعوة الإسلامية، وهو أنَّ كل عملٍ لا يكون صاحبه مؤمناً بالله متجها إليه وحده لا فائدة منه عند الله لأنَّهُ لا يكون صادراً عن قلبٍ طاهرٍ سليم[١] .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ﴾[٢]، ورد هذا المثل في سياق بدأ بذكر العلم الّذي أنزله الله إلى عباده، والّذي يتضمن: الآيات البينات، والأمثال المضروبة من أحوال الأمم السابقة، والمواعظ. وذلك في قوله تعالى:﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[٣]، وهذا العلم النازل هو الطريق الوحيد لهداية الناس، ثم بين سبحانه أنَّهُ هو الهادي لأهل السموات والأرض، حيث قال:﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[٤]، ثم ضرب سبحانه مثلاً لنورهِ الّذي يجعله في قلوب عباده المؤمنين جزاء تصديقهم وقبولهم لمّا نزَّلَ من البينات، وتعلمهم لها، وعملهم بها، مبيناً في المثل حقيقة ذلك النور، ومادته التي تغذيه، وأثره في استنارة القلب وبصيرته، وذلك بقوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ﴾، ثم ذكر سبحانه شاهداً على أثر ذلك النور في ذكر بعض صفات عباده المؤمنين الذين استنارت قلوبهم بذلك النور، فأكسبها البصيرة، وكشف لهم أحاسن الأعمال فلزموها، وأراذُلها فتجافوا عنها[٥] .

لقد ورد إثبات المثل الأعلى لله تعالى في موضعين في القرآن الكريم:

الأول: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[٦]، وجاء هذا المثل في أثناء السياق الّذي تميز بقوة البيان لمعالم التوحيد وأدلة تفرد الله بالألوهية، والرد على المشركين، وتفنيد شبهاتهم فكانت هذه الآية جزءاً من ذلك البيان، إذ عَرَّفت بالله الإله الحق تعريفاً مجملاً، إلا أنَّهُ كافٍ في الدلالة على استحالة جعل الأمثال لله من أيِّ نوعٍ كان، ولذلك نهى فيما تلاها من الآيات عن ضرب الأمثال له سبحانه بقوله: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٧][٨].

---

(١) ينظر: التفسير الحديث: ٥ / ٢٢٥، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ١٣ / ٢٢٥ .

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥ .

(٣) سورة النور، الآية: ٣٤ .

(٤) سورة النور، الآية: ٣٥ .

(٥) ينظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: ٢ / ٢٨١ .

(٦) سورة النحل، الآية: ٦٠ .

(٧) سورة النحل، الآية: ٧٤ .

(٨) ينظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: ٣ / ٨٨٩ .

الثاني: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[1]، من خلال المنظور العام للسورة يمكن تقسيم السورة إلى قسمين لكون القضايا التي تطرقت لها، والحد الفاصل بين القسمين هو الآية التي ورد فيها إثبات ((المثَلِ الأعْلَى)) لله تعالى، والتي تقع في منتصف السورة تقريبا، فقضية البعث بعد الموت، وقضية التوحيد، والأمر بإقامة الدين الخالص والاجتماع عليه والتحذير من الشرك وإبطاله، وأكد القسم الأول من السورة على القضية الأولى، والقسم الثاني على القضية الثانية، وإن كان كل قسم لا يخلو من الإشارة إلى كلا القضيتين، وجاءت آية الوسط التي ورد فيها قوله: ((وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ)) لتربط بين القضيتين بأسلوبٍ عظيم، ومعانٍ دقيقة تبرز عظمةِ القرآن وبديع نُظُمهِ وإعجازِهِ[2] .

خامساً: التعريف بالإمام الرازي:

أوّلاً: اسمه ولقبه:

هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي[3]، البكري نسباً الطبرستاني الأصل الرّازي المولد الفقيه الشافعي مذهباً، فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل[4]، وهو قُرَشِي النسب، فأَصله من طبرستان، ويقال له: ((ابن خطيب

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٧ .

(٢) ينظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: ٣ / ٨٨٩ .

(٣) التيميّ: نسبة إلى عدة قبائل اسمها تيم، ومنها تيم قريش، قبيلة أبو بكر الصديق ﷺ، وهي بطن من بطون قريش، ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، دار صادر – بيروت: ١ / ٢٣٣، نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ: ٩ / ١٨٢ .

(٤) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تح: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م: ٤ / ٢٤٨، طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تح: د. محمود محمد الطناحي وآخرون، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ: ٨ / ٨١ ، ١٠٨٩، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، تح: محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق، بيروت ١٩٨٦م: ٧ / ٤٠، الأعلام: ٦ / ٣١٣ .

الريّ)) أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، وكان يحسن الفارسية[١]، وهو ((مفسر، متكلم، فقيه أصولي، حكيم، أديب، شاعر، طبيب، مشارك في كثير من العلوم الشرعية والعربية، والحكمية والرياضية))[٢] .

لقبه:

إنَّ للإمام له أكثر من كنية، منها: أبو المعالي[٣]، ابن خطيب الري، والري: ((مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، كثيرة الخيرات، قصبة بلاد الجبال، على طريق السابلة))[٤]، وأبو عبد الله[٥]، وشاع لقب ((فخر الدين)) في كثير من المصادر[٦]، وابن الخطيب[٧]، ولقب ((بالرازي)) ويستخدم هذا اللقب غالباً مقرون بالإمام أو فخر الدين[٨] .

لقد اختلف الدارسون في تاريخ مولد الإمام الرازي وكانوا فريقين، الأول: في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة[٩]، الثاني: وقيل ثلاث وأربعين وخمسمائة للهجرة[١٠]، واتفق الدارسون على مسقط رأسه في ((الري)) من أعمال فارس[١١] .

---

(١) ينظر: الأعلام: ٦ / ٣١٣ .

(٢) معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي بيروت: ١١ / ٧٩ .

(٣) ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر: ٦ / ١٩٧ .

(٤) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ: ٢ / ٦٥١ .

(٥) ينظر: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: ٦ / ١٩٩، البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، دار الفكر، ١٩٨٦م: ١٣ / ٥٥ .

(٦) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٧ / ٤٠، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٤٩ .

(٧) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٤٩ .

(٨) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٩ / ٣٩٨ .

(٩) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٧ / ٤٠، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٥٢ .

(١٠) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٥٢ .

(١١) ينظر: طبقات الشافعية للحسيني، أبو بكر بن هداية الله الحسيني، تح: عادل نويهض، ط٣، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ١٩٨٢م: ٢١٨ .

نشأته:

ولد الإمام الرازي في بيت من بيوت العلم، فقد كان أبوه الإمام ضياء الدين عمر خطيباً للري وكان مبدأ اشتغاله على والده إلى أن مات، ثم قصد الكمال السماني (ت:٥٧٥هـ) واشتغل عليه مدة، ثم عاد إلى الري واشتغل على المجد الجيلي[١]، وهو أحد أصحاب محمد ابن يحيى (ت:٢٥٨هـ)، ولما طلب المجد الجيلي إلى مراغة ليدرس بها صحبه فخر الدين، وقرأ عليه مدة طويلة علم الكلام والحكمة، ويقال إنَّهُ كان يحفظ الشامل لإمام الحرمين في علم الكلام[٢]، ((وذكر فخر الدين في كتابه الّذي سماه ((تحصيل الحق)) أنَّهُ اشتغل في علم الأصول على والده ضياء الدين عمر، ووالده على أبي القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري(ت:٥١٢هـ)، وهو على إمام الحرمين أبي المعالي(ت:٤٧٨هـ)، وهو على الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني(ت:٤١٨هـ)، وهو على الشيخ أبي الحسن الباهلي (ت:٣٧٠هـ)، وهو على شيخ السنة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري(ت:٣٢٤هـ)، وهو على أبي علي الجبائي (ت:٣٠٣هـ) أولاً ثم رجع عن مذهبه ونصر مذهب أهل السنة والجماعة))[٣]، وأما اشتغاله في المذاهب فكان على والده، ووالده على أبي محمد الحسين ابن مسعود الفراء البغوي (ت:٥١٠هـ)، وهو على القاضي حسين المروزي (ت:٤٦٢هـ)، وهو على القفال المروزي (ت:٤١٧هـ)، وهو على أبي زيد المروزي (ت:٣٧١هـ)، وهو على أبي إسحاق المروزي (ت:٣٤٠هـ)، وهو على أبي العباس بن سريج (ت:٣٠٦هـ)، وهو على أبي القاسم الأنماطي (ت:٢٨٨هـ)، وهو على أبي إبراهيم المزني (ت:٢٦٤هـ)، لتنتهي السلسة بالإمام الشافعي (ت:٢٠٤هـ)رحمه الله[٤]، ((وكان شديد الحرص جدا في العلوم الشرعية والحكمة))[٥] .

أولاده: لقد ذكرت كتب التاريخ أنَّ فخر الدين كان أباً لثلاث أبناء وبنتين، الأول: هو محمد، وقد مات في شبابه، وقد جاء ذكره في مواطن كثيرة من تفسيره، نذكر منها ما قاله الرازي في ختام تفسيره لسورة يوسف: ((وكنت ضيق الصدر كثير الحزن بسبب وفاة الولد الصالح محمد أفاض الله

---

(١) لم أقف على سمة وفاته فيما بين يدي من المصادر .

(٢) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٥٠ .

(٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٥٢ .

(٤) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٥٢ .

(٥) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت،٢٠٠٠م: ٤ / ١٧٦ .

على روحه وجسده أنواء المغفرة والرحمة))[1]، أما ثاني الولدين لقبه ((ضياء الدين)) وله اشتغال ونظر في العلوم والآخر وهو الصغير لقبه ((شمس الدين)) وله فطرة فائقة وذكاء خارق وكان كثيرا ما يصفه الإمام فخر الدين بالذكاء، ويقول إن عاش ابني هذا فإنَّهُ يكون أعلم مني، وكانت النجابة تتبين فيه من الصِغَرْ، تزوج الشابان من ابنتي رئيس الأطباء، وهو شيخ عجوز خلف لهما ثورة هائلة، فمرض الطبيب وأيقن بالموت فزوج ابنتيه لولدي فخر الدين، فأقبلت الدنيا بعد ضيق العيش وكان النُّتاج يدقون الباب ويزجلون العطاء ثمن كتبه[2] .

علمه: كان مبدأ اشتغال الرازي على والده إلى أن مات[3]، ومما يدلُّ على ذلك أنَّهُ ينقل عن والده في بعض مواضع التفسير، منها: نقل عنه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[4]، قال والد الرازي:((وَكَانَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْوَالِدُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: لولا الأسبابُ لما ارتابَ مُرتابٌ، وفي يومِ القيامة زالت الأسباب وانعزلت الأرباب، ولم يبق البتة غير حكم مسبب الأسباب، فلهذا اختص النداء بيوم القيامة))[5]، وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[6]، فقال: ((كان الشيخ الوالد ضياء الدين عمر رحمه الله يقول: الرضا عبارة عن ترك اللوم والاعتراض، وليس عبارة عن الإرادة))[7]، وكان الشيخُ الإمامُ الوالد ضياء الدين عمر رحمه الله يقول: ((إنَّ الله تعالى في كلِّ جَوهرَ فردٍ أنواعاً غير متناهية من الدلائل الدَّالة على القدرة والحكمة والرحمة، وذلك لأنَّ كلَّ جَوهرٍ فرْدٍ فإنَّهُ يُمكِنُ وقوعه في أحيازٍ غير متناهية على البَدَلِ، ويمكن أيضاً اتّصافهُ بصفات غير متناهية على البدل، وكل واحد من تلك الأحوال المقدرة فإنه بتقدير الوقوع يدل على الافتقار إلى وجود الصانع الحكيم الرحيم . وأما تحصيل الهداية بطريق الرياضة والتصفية فذلك بحر لا ساحل له، ولكل واحد من السائرين إلى الله

(١) مفاتيح الغيب: ١٧ / ٣١١ ، ١٨ / ٥٢٣ .

(٢) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٥٠، الوافي بالوفيات: ٤ / ١٧٦ .

(٣) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٥٠، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٧ / ٤٠ .

(٤) سورة غافر، الآية: ١٦ .

(٥) مفاتيح الغيب: ٢٧ / ٥٠١ .

(٦) سورة الزمر، الآية: ٧ .

(٧) مفاتيح الغيب: ٢٦ / ٤٢٦ .

تعالى منهج خاص، ومشرب معين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[١] ولا وقوف للعقول على تلك الأسرار، ولا خبر عند الأفهام من مبادئ ميادين تلك الأنوار، والعارفون المحققون لحظوا فيها مباحث عميقة، وأسرارا دقيقة، قلما ترقى إليها أفهام الأكثرين))[٢]. وبعد وفات والده تتلمذ على يد الكمال السماني واشتغل عليه مدة، ثم لازم مجد الدين الجيلي مدة يقرأ عليه علم الكلام والحكمة[٣].

صفاته: كان الرازي حريصاً جداً في سائر العلوم، وكان جيد الفطرة، حاد الذهن، حسن العبارة كثير البراعة قوي النظر في صناعة الطب ومباحثها عارفاً بالأدب وله شعر بالفارسي والعربي، وكان عبل[٤] البدن ربع القامة كبير اللحية، وفي صوته فخامة، صاحب وقارٌ وحشمة[٥]، ((وكان له في الوعظ اليد البيضاء، ويعظ باللسانين العربي والعجمي، وكان يلحقه الوجد في حال الوعظ ويكثر البكاء))[٦]، واجتمع له خمسة أشياء ما جمعها الله لغيره فيما علمته من أمثاله، وهي سعة العبارة في القدرة على الكلام وصحة الذهن، والاطلاع الذي ما عليه مزيد والحافظة المستوعبة والذاكرة التي تعينه على ما يريده في تقرير الأدلة والبراهين[٧] .

مذهبه الفقهي:

الإمام الرازي شافعيّ المذهب كما أشتهر، وله كتب تترجم ذلك كمناقب الإمام الشافعي[٨]، وكتاب شرح الوجيز للغزالي، في فروع الفقه الشافعي[٩]، وللإمام فخر الدين الرازي مجلد في ترجيح

---

(١) سورة البقرة، الآية : ١٤٨ .

(٢)مفاتيح الغيب: ١ / ٢٦ .

(٣) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٥٠ .

(٤) معنى كلمة (عَبَلَ): ((الْعَيْنُ وَالْبَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ضِخَمٍ وَامْتِدَادٍ وَشِدَّةٍ. مِنْ ذَلِكَ الْعَبْلُ مِنَ الْأَجْسَامِ، وَهُوَ الضَّخْمُ))، معجم مقاييس اللغة: ٤ / ٢١٤ .

(٥) ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة)، تح: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت: ٤٦٢، الوافي بالوفيات: ٤ / ١٧٦ .

(٦) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٤٩، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٧ / ٤٠، الأعلام: ٦ / ٣١٣ .

(٧) ينظر: الوافي بالوفيات: ٤ / ١٧٦ .

(٨) ينظر: الأعلام: ٦ / ٣١٣، الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته، د. طه جابر العلواني، ط١، دار السلام، ٢٠١٠م: ٤٨ .

(٩) ينظر: معجم المؤلفين: ١١ / ٧٩ .

مذهب الشافعي على غيره فيه له مناقب كثيرة[١]، وهو أحد الفقهاء الشافعية المشاهير[٢]، ولقد صرح الرازي بقوله: ((وقد علم العالمون أنَّهُ ليس مذهبي ولا مذهب أسلافي إلا مذهب أهل السنة والجماعة))[٣] .

تلاميذه:

كان الرازي إذا رَكِبَ يمشي حوله نحو ثلاث مائة تلميذاً من فقهاء وغيرهم[٤]، ((وكان الناس يقصدونه من البلاد ويهاجرون إليه من كل ناحية على اختلاف مطالبهم في العلوم وتفننهم فيما يشتغلون به))[٥]، ((وكان إذا جلس للتدريس يكون قريباً منه جماعة من تلاميذه الكبار مثل زين الدين الكشي (ت:٦٦١هـ)، والقطب المصري (ت:٦١٨هـ)، وشهاب الدين النيسابوري[٦]، ثم يليهم بقية التلاميذ وسائر الخلق فكان من يتكلم في شيء من العلوم يباحثونه أولئك التلاميذ الكبار فإن جرى بحث مشكل أو معنى غريب شاركهم الشيخ فيما هم فيه))[٧]، وكان يحضر مجلسه بمدينة هراة[٨]، أرباب المذاهب والمقالات ويسألونه وهو يجيب كل سائل بأحسن إجابة[٩].

---

(١) ينظر: الوافي بالوفيات: ٢ / ١٢٧ .

(٢) ينظر: البداية والنهاية: ١٣ / ٥٥ .

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين الرازي، تح: علي سامي النشار، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٥٦هـ- ١٩٣٨هـ: ٩٢ .

(٤) ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء:٤٦٢، الوافي بالوفيات: ٤ / ١٧٥، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٧ / ٤٠ .

(٥) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٤٦٢ .

(٦) لم أقف على سمة وفاته فيما بين يدي من المصادر .

(٧) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٤٦٢ .

(٨) ((هراة)) مدينة عظيمة تعتبر من أمهات مدن خراسان فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة محشوة بالعلماء ومملوءة بأهل الفضل والثراء وقد أصابها عين الزمان ونكبتها طوارق الحدثان وجاءها الكفار من التتر فخرّبوها . ينظر: معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الفكر – بيروت: ٥ / ٣٩٦، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: ٣ / ١٤٥٥ .

(٩) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٤٩ .

٢. آثاره العلمية

ذُكِرَ في تصانيفه: ((إنها ممتعة، وانتشرت تصانيفه في البلاد ورزق فيها سعادة عظيمة فإن الناس اشتغلوا بها ورفضوا كتب المتقدمين، وهو أو من اخترع هذا الترتيب في كتبه، وأتى فيها بما لم يسبق إليه))[١]، وآثاره تدل دلالة واضحة على ((أننا أمام دائرة معارف متكاملة الفروع، ومتنوعة الأصناف ما بين طب ودين وأدب وفلسفة عربية وفارسية، فالناظر في حياة الرجل يراه موسوعياً لا يدرى الناظر في علومه من أين يبدأ، ولا من أي الفنون يأخذ، فهو رأس في الذكاء والعقليات وبحر في العقائد والحكمة والشرعيات تفسيرا وفقها وأصولا))[٢] .

آثاره في التفسير:

١. تفسير سورة الإخلاص، وتفسير القرآن الصغير الّذي سمّاه أسرار التنزيل وأنوار التأويل[٣] .

٢. التفسير الكبير[٤]، أو مفاتيح الغيب[٥] .

٣. رسالة في التنبيه على بعض الأسرار المودعة في بعض سور القرآن العظيم، وتفسير سورة البقرة[٦] .

الفقه والأصول:

١. إبطال القياس، وإحكام الأحكام، والبراهين البهائية[٧] .

٢. شرح وجيز الغزالي[٨] .

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٤٩، الوافي بالوفيات: ٤ / ١٧٦ .

(٢) النسخ عند الفخر الرازي: محمود محمد محمد الحنطور، ط١، مكتبة الآداب – القاهرة، ٢٠٠٢م:١١ .

(٣) ينظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي، تح: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٥م: ٢٢٠، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، مكتبة المثنى – بغداد، ١٩٤١م: ١ / ٨١ ، ٤٤٩ .

(٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٤٩، الوافي بالوفيات: ٤ / ١٧٩ .

(٥) إخبار العلماء بأخبار الحكماء: ٢٢٠ .

(٦) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٤٧٠، الوافي بالوفيات: ٤ / ١٨٠ .

(٧) ينظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء: ٢٢١، عيون الأنباء في طبقات الأطباء:٤٧٠، الوافي بالوفيات: ٤ / ١٨٠ .

(٨) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٤٩ .

٣. المحصول في أصول الفقه[١] .

٤. منتخب المحصول في "أصول الفقه"، والمعالم في أصول الفقه[٢] .

علم الكلام:

١. أجوبة المسائل التجارية، والأربعين في أصول الدّين، وإرشاد النظار إلى لطائف الأسرار وتأسيس التقديس، والبيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان، والقضاء والقدر، وتحصيل الحق، ورسالة الجوهر[٣] .

٢. كتاب رسالة الحدوث، والخلق والبعث، والخمسين في أصول الدين، والرسالة الكمالية في الحقائق الإلهية[٤] .

٣. عصمة الأنبياء[٥]، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين .

٤. المباحث العمادية في المطالب المعادية، وزبدة المعالم في الكلام[٦] .

٥. رسالة في النبوات، ومعالم أصول الدين، ونهاية العقول في دراية الأصول، وشرح أسماء الله الحسنى[٧] .

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣ / ٦٣٨، إخبار العلماء بأخبار الحكماء:٢٢٠، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ٢ / ١٦١٥ .

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات: ٤ / ١٧٩، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ٢ / ١٦١٥ ، ١٧٢٦ .

(٣) ينظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء:٢٢١، عيون الأنباء في طبقات الأطباء:٤٧٠، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٤٩، الوافي بالوفيات: ٤ / ١٧٩، ١٨٠، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ١ / ١، ٣٥٩ .

(٤) ينظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء:٢٢١، عيون الأنباء في طبقات الأطباء:٤٧٠، الوافي بالوفيات: ٤ / ١٧٩، ١٨٠ .

(٥) ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء:٤٧٠، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ٢ / ١١٤١، الأعلام: ٦ / ٣١٣ .

(٦) ينظر: الوافي بالوفيات: ٤ / ١٨٠، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ٢ / ١٥٧٧ .

(٧) ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء:٤٧٠، الوافي بالوفيات: ٤ / ١٨٠، الأعلام: ٦ / ٣١٣ .

الفلسفة والمنطق والأخلاق:

١. الأخلاق، وتعجيز الفلاسفة، وشرح الإشارات، وشرح عيون الحكمة، والآيات البينات في المنطق[١] .

٢. لباب الإشارات، ومباحث الحدود، والمباحث المشرقية، والملخص في الحكمة، ورسالة في النفس[٢] .

الجدل والخلاف:

١. شِفاء العيي والخلاف، والطريقة العلائية في الخلاف، ومباحث الجدل[٣] .

الفلسفة وعلم الكلام:

١. محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين والحكماء والمتكلمين[٤] .

٢. المطالب العالية[٥] .

العربية وآدابها:

١. شرح سقط الزند للمعري (٣٦٣هـ-٤٤٩هـ)، وشرح نهج البلاغة، والمحرر في النحو، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز [٦] .

التراجم والسير:

١. فضائل الصحابة، ومناقب الإمام الشافعي (ت:٢٠٤هـ)[٧] .

---

(١) ينظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء:٢٢١، عيون الأنباء في طبقات الأطباء:٤٧٠، الوافي بالوفيات: ٤ / ١٨٠.

(٢) ينظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء:٢٢١، عيون الأنباء في طبقات الأطباء:٤٧٠، الوافي بالوفيات: ٤ / ١٨٠، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ١ / ٨١، الأعلام: ٦ / ٣١٣ .

(٣) ينظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء: ٢٢١، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٤٧٠ .

(٤) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ٢ / ١٦١٤، الأعلام: ٦ / ٣١٣ .

(٥) ينظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء:٢٢١، عيون الأنباء في طبقات الأطباء:٤٧٠، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٤٩، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ٢ / ١٧١٤، الأعلام: ٦ / ٣١٣ .

(٦) ينظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء:٢٢١، عيون الأنباء في طبقات الأطباء:٤٧٠، الوافي بالوفيات: ٤ / ١٨٠، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٧ / ٤١، الأعلام: ٦ / ٣١٣ .

(٧) ينظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء:٢٢١، عيون الأنباء في طبقات الأطباء:٤٧٠، الأعلام: ٦ /٣١٣ .

الطب والفراسة:

١. التشريح من الرأس إلى الحلق، والطب الكبير أو ((الجامع الكبير الملكي في الطب))، ومسائل في الطب [١] .

٤. النبض، وشرح كليات القانون[٢] .

٥. رسالة في علم الفراسة[٣] .

وفاته:

لقد اتفق الدارسون على انَّ وفاة الفخر الرازي كانت بـ(هراة) ، فهي آخر محطات الترحال في حياته وذلك سنة (٦٠٦هـ)[٤]، لكنهم اختلفوا في يوم وفاته، وذهبوا في ذلك إلى امرين: الأوّل: أنَّهُ توفي في عيد الفطر ((١ شوال))[٥]، والثاني: إنَّهُ توفي في شهر ذي الحجة[٦]، واختلفوا في سبب الوفاة فذكر بعظهم أن فرقة الكرامية هي التي دست له السم بسبب العداء الشديد بينهم وبين الفخر الرازي؛ لأنَّهُ كان ينال منهم وينالون منه[٧] .

سادساً: التعريف بتفسير الرازي (مفاتيح الغيب)

أولاً: التعريف بمفاتيح الغيب

تفسير الرازي له أسمان: الأوّل: ((التفسير الكبير))، وهذا الاسم اشتُهِرَ به بين العلماء والثاني: ((مفاتيح الغيب)) ويبدو أنَّ الرازي أطلقَ هذا الاسم على تفسيره[٨]، يقع في ثماني مجدات كبار،

---

(١) ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٤٧٠، الوافي بالوفيات: ٤ / ١٨٠ .

(٢) ينظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء:٢٢١، عيون الأنباء في طبقات الأطباء:٤٧٠.

(٣) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٤٩ .

(٤) ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٤٦٦، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٥٢، سير أعلام النبلاء: ٢١ / ٥٠١، الوافي بالوفيات: ٤ / ١٧٧، طبقات الشافعية الكبرى: ٨ / ٨٢، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٦ / ١٩٧ .

(٥) ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء:٤٦٦ ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٥٢، سير أعلام النبلاء: ٢١ / ٥٠١ .

(٦) ينظر: البداية والنهاية: ١٣ / ٥٥، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٦ / ١٩٨ .

(٧) ينظر: البداية والنهاية: ١٣ / ٥٥ ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٦ / ١٩٨ .

(٨) ينظر: تعريف الدارسين بمنهاج المفسرين، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط٢، دار القلم – دمشق، ٢٠٠٨م:٤٧١ .

وعدد أجزائه اثنان وثلاثون جزءاً موزعة في بعض الطبعات على ستة عشر مجلداً، وهو مطبوع ومتداول بين أهل العلم[١]، ((فهو يحظى بشهرة واسعة بين العلماء وذلك؛ لأنَّهُ يمتاز عن غيره من كتب التفسير بالأبحاث الفيَّاضة الواسعة في نواح شتَّى من العلوم))[٢]، وهو كبير جداً وجمع فيه كل غريب غريبة[٣]، يقول الرازي في تفسيره: ((إنَّ القرآن أصل العلوم كلها))[٤]، وقال الرازي: ((ربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم وذلك على خلاف المعتاد! فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته))[٥]، ويظهر أنَّ الإمام الرازي كان مولعاً بكثرة الاستنباطات والاستطرادات في تفسيره، والذى يقرأ مقدمة تفسيره لا يسعه إلا أن يحكم على الفخر هذا الحكم[٦]، وذلك حيث يقول في تفسيره: ((اعلم أنَّهُ مر على لساني في بعض الأوقات أن هذه السورة الكريمة يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة، فاستبعد هذا بعض الحساد، وقوم من أهل الجهل والغي والعناد، وحملوا ذلك على ما ألفوه من أنفسهم من التعلقات الفارغة عن المعاني، والكلمات الخالية عن تحقيق المعاقد والمباني، فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب، قدمت هذه المقدمة لتصير كالتنبيه على أن ما ذكرناه أمر ممكن الحصول، قريب الوصول))[٧]، ومن اهداف تأليف مفاتيح الغيب، الدفاع عن القرآن، وعن العقيدة، والوقوف في وجه الماديين والملحدين، وغيرها من الأهداف[٨] .

ثانياً: منهجه في التفسير:

تفسير الرازي هو تفسيرٌ بالرأي المحمود، وهو ممثلٌ لهذه المدرسة، ويُعدُّ العمدة في التفاسير العقلية للقرآن، إذ يعد موسوعاً ومستودعاً للتوجيهات العقلية، والأقوال النظرية في التفسير[٩]، وقواعد منهج الإمام الرازي في تفسيره هي:

---

(١) ينظر: التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي (ت:١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة: ١ / ٢٠٧ .

(٢) التفسير والمفسرون: ١ / ٢٠٩ .

(٣) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤ / ٢٤٩ .

(٤) مفاتيح الغيب: ٢ / ٣٤٨ .

(٥) مفاتيح الغيب: ١٤ / ٢٧٤ .

(٦) ينظر: التفسير والمفسرون: ١ / ٢١٠ .

(٧) مفاتيح الغيب: ١ / ٢١ .

(٨) ينظر: تعريف الدارسين بمنهاج المفسرين: ٤٧٤ .

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ٤٧٥ .

١. القرآن أصلُ العلوم كلِّها الشرعيةِ والماديةِ، وألَّفَ تفسيره ليدلل على ذلك، ويردَّ على الماديين والملحدين[١] .

٢. اهتمام الفخر الرازي ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره، وهو لا يكتفى بذكر مناسبة واحدة بل كثيراً ما يذكر أكثر من مناسبة[٢] .

٣. يفصل الرازي كثيراً في آيات الأحكام، ويذكر مذاهب الفقهاء ويرجح بينهما، ويميل الى مذهب إمامه الشافعي، بالأدلة والبراهين[٣] .

٤. الاستطراد وتوليد المسائل وتكثيرها، والانتقالِ من موضعٍ إلى آخر، وكان يرى أنَّ كل كلمة قرآنية يمكنُ أن يؤخذُ منها عددٌ من المسائل والأحكام، نحو: سورة الفاتحة كان يرى أَنها يمكنُ أَنْ يؤخذَ منها عشرةُ آلافِ مسألة على وجهِ التقريب[٤] .

٥. كان الرازي مهتماً بذكر القراءات في كتابه، واعتمد القراءات المتواترة ورفض القراءات الشاذة والمشكوك فيها، فقال: ((القراءة الشاذة لا يمكن اعتبارها في القرآن، لأنَّ تصحيحها يقدح في كون القرآن متواتراً))[٥] .

٦. كان يستطرد لذكر المسائل الأصولية، والمسائل النحوية، والبلاغية، وإن كان لا يتوسع في ذلك توسعه في مسائل العلوم الكونية والرياضية[٦] .

٧. ((يتطرق لوجه الإعراب، ويستعين به في تفسير بعض الألفاظ، التي يختلف معناها تبعاً لوجه الإعراب))[٧] .

---

(١) ينظر: تعريف الدارسين بمنهاج المفسرين: ٤٧٧ .

(٢) ينظر: التفسير والمفسرون: ١ / ٢٠٩، المفاهيم التربوية عند الإمام فخر الدين الرازي من خلال كتابه (التفسير الكبير) المسمى (مفاتيح الغيب) ، رسالة مقدمة لكلية التربية، جامعة أم القرى، الباحث: علي حسين فهد غاصب، إشراف: د. ماجد عرسان الكيلاني: ٢٧ .

(٣) ينظر: التفسير والمفسرون: ١ / ٢١٠، المفاهيم التربوية عند الإمام فخر الدين الرازي من خلال كتابه (التفسير الكبير): ٢٧ .

(٤) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: ٤٧٩ .

(٥) مفاتيح الغيب: ٤ / ١٣٨، ٦ / ٤٣٢ .

(٦) ينظر: التفسير والمفسرون: ١ / ٢١٠ .

(٧) المفاهيم التربوية عند الإمام فخر الدين الرازي من خلال كتابه (التفسير الكبير): ٣٧ .

٨. الجدال والرد على أصحاب الفرق المختلفة، والوقوف أمام المعتزلة وغيرهم من الفرق الإسلامية[١] .

٩. كان من منهج الإمام الرزي التقليل من الموضوعات الأثرية، كتفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة والتوسع في المباحث العقلية[٢] .

ثالثاً: أهمية دراسة الأمثال في تفسير الرازي:

أشار الرازي في تفسيره الى أنَّ ضرب الأمثال تؤثر في القلوب أكثر من وصف الشيء في نفسه، فهي تقوم بتشبيه الخفيّ بالجليّ، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحس مطابقا للعقل وذلك في نهاية الإيضاح[٣]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾[٤]، يقول الرازي: ((وتأمل في هذه الآية إذا وقع الترغيب بالإيمان مجرداً عن التمثيل له، فبذلك لم يتأكد تأثيره ووقعه في القلب كما يتأكد وقوعه إذا مُثِّلَ بالنور، وكذلك الكفر أذا جُرِّدَ من المثل لم يتأكد قبحه في العقول كما يتأكد إذا مُثِّلَ بالظلمة، ولهذا أكثر الله تعالى في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله))[٥]، والله تعالى إذا أراد أن يقبح الكفار عبادتهم الأصنام وعدولهم عن عبادة الله صَلُحَ أن يضرب المثل بالذباب يوضح أن قدر مضرتها لا يندفع بهذه الأصنام، ويضرب المثل (لبيت العنكبوت) ليبين أن عبادتها أوهن وأضعف من ذلك، وفي مثل ذلك كل ما كان المضروب به المثل أضعف كان المثل أقوى وأوضح.

والمثل يأتي تنبيهاً لهم أي: الكفار أنَّهم إنّما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ترك الإصغاء، وقلة الاهتمام بالدين، فصيّرهم من هذا الوجه بمنزلة الأنعام، وهذا يزيد السامع معرفة بأحوال الكفار، ويحقر إلى الكافر نفسه إذا سمع ذلك[٦]، كما في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٧]، وضرب الله تعالى ترغيب

---

(١) ينظر: التفسير والمفسرون: ١ / ٢٠٩ ، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: ٤٨١ .

(٢) ينظر: وتعريف الدارسين بمناهج المفسرين: ٤٨٦ .

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢ / ٣١٢ .

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧ .

(٥) مفاتيح الغيب: ٢ / ٣١٢ .

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٥ / ١٩٨ .

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٧١ .

للمسلمين في المجاهدة بالنفس والمال في نصرته وإعلاء شريعته[١]، كما في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢]،

وبعضها تضرب لزيادة البيان والوضوح[٣]، واعلم أنَّ ضرب الأمثال من الأمور المستحسنة في العقول[٤] .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٥]، ((أنَّ في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني، وذلك لأنَّ المعاني العقلية المحضة لا يقبلها الحس والخيال والوهم، فإذا ذكر ما يساويها من المحسوسات ترك الحس والخيال والوهم تلك المنازعة وانطبق المعقول على المحسوس وحصل به الفهم التام والوصول إلى المطلوب))[٦] .

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٧ / ٣٩ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦١ .

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢ / ٣٦٣ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢ / ٣٦٢ .

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٢٥ .

(٦) مفاتيح الغيب: ١٩ / ٩٣ .

الفصل الأول

الأمثال الواردة في السور المكيّة

المبحث الأول

- امثال الآيات المكيّة الواردة في القضايا العقديّة ووظيفتها في السياق

المبحث الثاني

- الأمثال المكيّة الواردة في قضايا العبادات ووظيفتها في السياق

المبحث الثالث

- الأمثال المكيّة المتعلقة بحقيقة الحياة الدّنيا ووظيفتها في السياق

المبحث الأول: امثال الآيات المكيّة الواردة في القضايا العقديّة

المطلب الأول: الانسلاخ عن آيات الله والمثل الوارد فيه

أولاً: معنى الآية الاجمالي، قال تعالى:﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] .

إنَّ الله تعالى أمرَ نبيهُ ﷺ أن يتلو على قومه خبرَ رجلٍ كان الله آتاه حُجَجه وأدلته، وهي ((الآيات))، قيل هي: اسم الله الأعظم، وقيل: النبوّة، وجائز أن يكونَ الذي كان الله آتاه ذلك ((بلعم))، وجائز أن يكون ((أمية))، فقد قرأ من كتب أهل الكتاب .

وكذلك ((الآيات)) إن كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض أنبيائه، فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية، وعناه بها، فجائز أن يكون الذي كان أوتيها ((بلعم))، وجائز أن يكون ((أمية))؛ لأنَّ ((أمية)) كان فيما يقال، قد قرأ من كتب أهل الكتاب[2] .

والمعنى في هذه الآيات أنَّ الكفرة لو لم يؤخذ عليهم عهد ولا جاءهم رسول مُذكِر بما تضمنه العهد من توحيد الله وعبادته لكانت لهم حجتان: إحداهما ((كنا غافلين))، والأخرى كنا ((تَبَعاً لأسلافنا)) فكيف نهلك؟، والذنب إنَّما هو لمن أضلنا فوقعت شهادة بعضهم على بعض أو شهادة الملائكة عليهم لتنقطع لهم هذه الحجج[3] .

وإنَّ هذا المثل ضُرِبَ للمكذبين بآيات الله المنزلة على رسوله ﷺ على ما أيدها به من الآيات العقلية والكونية، وهو مثلُ من آتاه الله آياته، فكان عالماً بها حافظاً لقواعِدها وأحكامِها قادراً على بيانها والجدل بها، ولكنه لم يؤت العمل مع العلم، بل كان عمله مخالفاً لعلمه تمام المخالفة فَسُلِبَها؛ لأنَّ العلم الذي لا يعمل به لا يلبث أن يزول، فأشبه الحية التي تنسلخ من جلدها وتخرج منه وتتركه على الأرض، أو تباينَ بين علمه وعمله كالمنسلخ من العلم التارك له كالثوبِ الخَلِقِ يلقيه صاحبُهُ، والثعبانِ يتجرد من جلده حتى لا تبقى له به صلة .

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٣ / ٢٦٠ .

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢ / ٤٧٦ .

فحاصل معنى المثل: أنَّ المكذبين بآيات الله تعالى المنزلة على رسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه، على إيضاحها بالحجج والدلائل، كالعالم الّذي حرم ثمرة الانتفاع من علمه؛ لأنَّ كُلاً منهما لم ينظر في الآيات نظر تأمل واعتبار وإخلاص[١]، وذكر الله سبحانه ما يُفيدُ أنَّ التّوحِيدَ جُعِلَ في الفطرة بِذِكر حالةِ اهتداءِ بعض النّاسِ إلى نبذِ الشِّرك في مبدأِ أمرِه ثمَّ تُعرِضُ وَسَاوِسُ الشَّيطان له بتحسينِ الشِّرك، وفي هذا المثل خبرُ شخصٍ آتاه الله آياته فلم يقمْ بحقها قياماً يرتفع شأنه بها عند الله، بل انحطَّ واتبع هواه واستغرق في الحياة الدنيا وشهواتها حتى صار كالكلب الّذي لا يكلّ عن اللهث سواء أحملتَ عليه وزجرتَه أم لم تفعل[٢]، ومضمون هذا المثل أن العالِمَ بآيات الله غيرِ العامِل بها كالحية تنسلخ من جلدها وتتركه على الأرض[٣] .

ثانياً: سبب نزول الآية:

١. قال ابن مسعود (ت:٣٢هـ) ﷺ: نزلت في بلعم بن باعوراء[٤] رجل من بني إسرائيل، وقال ابن عباس (ت:٦٨هـ) وغيره من المفسرين: هو بلعم بن باعوراء، فإن قال قائل: فهل يصح أن يقال: إنَّ المذكور في هذه الآية كان نبياً، ثم صار كافراً؟ فردَّ عليهم الرازي بقوله: ((هذا بعيد؛ لأنَّهُ تعالى قال:﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[٥]، وذلك يَدِلُّ على أنَّهُ تعالى لا يُشَرِّفُ عبداً من عبيده بالرسالة، إلا إذا عَلِمَ امتيازه عن سائر العبيد بمزيد الشرف، والدرجات العالية، والمناقب العظيمة، فمن كان هذا حاله، فكيف يليق به الكفر؟))[٦] .

٢. أنها نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي (ت:٦٢٦م)، وكان قد قرأ الكتب وعلم أنَّ الله مرسل رسولاً في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول، فلمّا أرسل محمد ﷺ حسده وكفر به[٧]، واعترض بأنَّهُ لا يجوز أن يكون المعنيُّ بذلك أمية؛ لأنَّ ((أمية)) لا تختلف الأمة في أنَّهُ لم يكن

---

(١) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): ٩ / ٣٤٠ ، تفسير المراغي: ٩ / ١٠٧ .

(٢) ينظر: التفسير الحديث: ٢ / ٥٣٤ .

(٣) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ٩ / ١٦٢ .

(٤) لم أقف على سمة وفاته فيما بين يدي من المصادر .

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤ .

(٦) مفاتيح الغيب: ١٥ / ٤٠٤ .

(٧) ينظر: أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط٢، دار الإصلاح – الدمام، ١٩٩٢م: ٢٢٦ ، ٢٢٧، مفاتيح الغيب: ١٥ / ٤٠٤ .

أوتي شيئاً من ذلك، ولا خبرَ بأيِّ ذلك المراد، وأيُّ الرجلين المعنيُّ يوجب الحجة، ولا في العقل دلالة على أيِّ ذلك المعنيُّ به من أيٍّ، فالصواب أن يقال فيه ما قال الله، ونُقِرّ بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله. وقوله: ((فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا))، يعني: خرج من الآيات التي كان الله آتاها إياه، فتبرَّأ منها[١].

وجميع الأقوال المتقدمة ليس فيها دليل من كتاب اللَّه أو سنة رسوله ﷺ، بل هي من أحاديث بني إسرائيل التي لم نؤمر بتصديقها أو تكذيبها، والنتيجة: أنَّ الآية لم تنزل بسبب خاص لعدم الدليل على ذلك، وإنّما تتحدث عن رجل من الأمم السابقة، والله أعلم[٢] .

ثالثاً: معنى قوله تعالى: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾

اختلف العلماء في المراد من ((آيات الله)) الأول: اسم الله الأعظم الثاني: النبوّة، والثالث: بمعنى كتاب أنزله الله على مَنْ أمر نبيَّ الله ﷺ أن يتلوَ على قومه نبأه، والصواب عند الطبري قال: ((إنَّ الله تعالى أمرَ نبيه ﷺ أنّ يتلو على قومه خبرَ رَجُلٍ كان الله آتاه حُجَجه وأدلته، وهي ((الآيات))، وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على مَنْ أمر نبيَّ الله ﷺ أن يتلوَ على قومه نبأه، أو أسم الله الأعظم، أو بمعنى النبوّة))[٣]، وقيل أنَّ المعنيَّ بالمثل رجلٌ آتاه الله النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل، وتركهم على ما هم عليه، وهو غَيرُ صحيح؛ لأنَّ الله لا يصطفي لنبوته إلا من يعلم أن لا يخرج عن طاعته إلى معصيته، وقد ردُّدا وأنكروا هذه الرواية؛ لأنها تخالف عصمة الأنبياء[٤]، وقوله: ((فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا)) وفيها وجهان: أحدهما: فانسلخ من العلم بها؛ لأنَّهُ سَيُسلَب ما أوتي منها بالمعصية، والثاني: أنَّهُ انسلخ منها، أي: من الطاعة بالمعصية مع بقاء علمهِ بالآيات[٥]، ((فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا))، أي: كفر بها ونبذها وراء ظهره[٦] .

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٣ / ٢٥٩ / ٢٦١ .

(٢) ينظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية: خالد بن سليمان المزيني، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٦م: ١ / ٥٤٦ .

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٣ / ٢٥٩ / ٢٦١ .

(٤) ينظر: النكت والعيون: ٢ / ٢٩٧ ، ٢٨٠ ، تفسير القرآن العظيم: ٣ / ٥٠٨ ، زاد المسير في علم التفسير: ٢ / ١٦٩، التحرير والتنوير: ٢ / ٤٧٧ .

(٥) ينظر: النكت والعيون: ٢ / ٢٩٧ ، ٢٨٠ ، التحرير والتنوير: ٢ / ٤٧٧ .

(٦) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢ / ١٧٨ .

رابعاً: المراد بالآيات في المثل، حجج التَّوحيد وفهم أدلته، أو العلم بكتاب الله عزّ وجلّ، وقوله: ((فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا))، أي: خرج من العلم بها[١] .

((ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا))، أي بيَّناها فلم يَقبَلْ وعَرِيَ منها، وسواءٌ قولك: انسَلَخَ، وعَرِيَ، وتَباعَدَ، وهذا يقعُ على كلِّ كافرٍ لم يؤمن بالأدلّة، وأقام على الكفر .

وقد ذكر الرازي احتمالين:

الأول: إنَّ المنسلخ كافر .

الثاني: إنَّ المنسلخ كان عالماً بالله وتوحيده، ثم خرج منه، والرازي يرجح الثاني؛ لأنَّ قوله انسلخ منها يَدُلَّ على أنَّهُ كان فيها ثم خرج منها، وأيضا فقد ثبت بالأخبار أن هذه الآية إنّما نزلت في إنسان كان عالماً بدين الله تعالى، ثمَّ خرج منه إلى الكفر والضلال[٢] .

رابعاً: معنى قوله تعالى: ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾

أي: ((فصيَّره لنفسه تابعًا ينتهي إلى أمره في معصية الله، ويخالف أمر ربِّه في معصية الشيطان وطاعةِ الرحمن))[٣]، وأورد الماوردي قول الطبري ثُمَّ أضاف قوله: ((أنَّ الشَّيطانُ مُتَّبَعْ من الإنس على ضلالته من الكفر، أو أن الشيطان لحقه فأغواه، يقال اتبعت القوم إذا لحقتهم، وتبعتهم إذا سرت خلفهم))[٤]، وأورد الرازي في معنى قوله تعالى:﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾، وجهين:

١. ((اتعبهُ الشَّيطانُ)) أي: كُفّار الإنس وغواتهم، أي: الشَّيطانُ جَعَلَ كُفّار الإنس أتباعاً له.

٢. ((فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ))، أي: أدركه، ويقال: أتبعت القومَ، أي: لحقتهم[٥]، فترتب على انسلاخه منها باختياره أن لحقه الشيطان، فأدركه وتمكن من الوسوسة له، إذ لم يبق لديه من نور العلم والبصيرة ما يحول دون قبول وسوسته، وأعقب ذلك أن صار من الغاوين، أي الفاسدين المفسدين[٦] .

---

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٢ / ١٦٩ ، مفاتيح الغيب: ١٥ / ٤٠٤ .

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٥ / ٤٠٤ .

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٣ / ٢٦١ .

(٤) النكت والعيون: ٢ / ٢٨٠ ، ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٢ / ١٧٠ .

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٥ / ٤٠٤ .

(٦) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): ٩ / ٣٤٠ ، تفسير المراغي: ٩ / ١٦٠ ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: ٢ / ٢٦٢ ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ٩ / ١٦٢ .

خامساً: الدراسة التحليلية في المثل وفيها ثلاث نقاط رئيسة، وهي:

أولاً: دلالة لفظ ((لو)) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾

أ. **التعريف بالأداة ((لو))** ((لو)) ((حرف تَمَنٍّ وهو لامتناع الثاني من أجل امتناع الأول، تقول: لو جئتني لأكرمتك، وهو ضد ((إنْ)) التي للجزاء، لأنها توقع الثاني من أجل وقوع الأول))[١] .

وهو حرف شرط غير جازم يفيد التعليق في الماضي أو المستقبل، يُستعمل في الامتناع أو في غير الإمكان، أي: امتناع الجواب لامتناع الشرط، وله استعمالات عدة منها: حرف مصدريّ بمنزلة أنْ، حرف للتَّمنّي، والى غير ذلك من المواضع[٢]، ولقد اعترض النحويون على هذه العبارة قال المرادي (ت:٧٤٩هـ): ((تدل على امتناع لامتناع الأول، وهذه عبارة ظاهرها أنها غير صحيحة، لأَنها تقتضي كون لو ممتنعاً غير ثابت دائماً وذلك غير لازم، لأنَّ جوابها قد يكون ثابتاً في بعض المواضع كقولك لطائر: لو كان هذا إنساناً لكان حيواناً))[٣] .

والتقدير في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾، يقول النحويون: ((إنَّ التقدير لم نشأ فلم نرفعه والصَّوابُ لم نرفعه فلم نشأ؛ لأنَّ نفي اللازم يوجب نفي الملزوم ووجود الملزوم يوجب وجود اللازم فيلزم من وجود المشيئة وجود الرفع ومن نفي الرفع نفي المشيئة، والجواب أن الملزوم هنا مشيئة الرفع لا مطلق المشيئة، وهي مساوية للرفع، أيْ: متى وجدت وجد ومتى انتفت انتفى، وإذا كان اللازم والملزوم بهذه الحيثية لزم من نفي كل منهما انتفاء الآخر))[٤] .

وأورد الرازي في تأويلهُ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أنَّ لفظة ((وَلَوْ)) تَدُلُّ على انتِفاءِ الشَّيءِ لانتِفَاءِ غيرِه، فهذا يَدُلُّ على أنَّهُ تعالى قد لا يُرِيدُ الإيمَانَ، وقد يُرِيدُ الكفر .

وقالت المعتزلة: لفظُ الآية يحتمل وجوهاً أخرى سِوى هذا الوجه، **فالأول:** ولو شئنا لرفعناه بأعماله، بأن نُكرِمُهُ، ونزيل التّكليفَ عنه، قبل ذلك الكفر حتى نُسَلّمَ له الرِّفعة، لَكِنَّا رفعناه بزيادة

---

(١) مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – ط٥، الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ١٩٩٩م: ٢٨٦ .

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ٢٠٠٨م: ٣ / ٢٠٤٣ .

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني: بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي، تح: د. فخر قباوة وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، ص: ٢٧٣ .

(٤) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف، جمال الدين، تح: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله ، ط٦، دار الفكر – دمشق، ١٩٨٥هـ: ٣٤٧ .

التكليف بمنزلة زائدة، فأبى أن يَستمِرَّ على الإيمان، **والثاني:** بأن نَحُولَ بينه وبين الكفر، قهراً وجبراً، إلا أن ذلك ينافي التكليف، فلا جرم تركناه مع اختياره[١] .

فردَّ الإمام الرازي على قول المعتزلة **فالأول:** ((إنَّ حَمْلَ الرِّفعة على الإماتة بَعِيدٌ، وعَنِ **الثاني:** إنّهُ تعالى إذا منعه منه قهراً، لم يَكُنْ ذلك موجباً للثواب والرِّفعة))[٢] .

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾، قولان:

الأول: لرفعناه بعلمه بها، والثاني: معناه: لرفعنا عنه الحال التي صار إليها من الكفر بالله بآياتنا ولقد رجَّح الإمام الطبري فقال: ((وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عمّ الخبر بقوله: ((وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا))، أنَّهُ لو شاء رفعه بآياته التي آتاه إياها. وللرفعِ معانٍ كثيرة منها: الرفع في المنزلة عنده، أو في شرف الدنيا، أو الذكر الجميلِ. وجائز أن يُراد بكل ذلك))[٣] .

وتكون على وجهين: لأمتناه فلم يكفر، أو لحلنا بينه وبين الكفر فيصير إلى المنزلة المرفوعة معصوماً[٤]، وهي تعود إلى الإنسان المذكور، وهو قول الجمهور فيكون المعنى: ولو شئنا لرفعنا منزلة هذا الإنسان بما علّمنا، أو أنها تعود إلى الكفر بالآيات، فيكون المعنى: لو شئنا لرفعنا عنه الكفر بآياتنا[٥] .

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾، أي: ((ولو أردنا أن نرفعه بتلك الآيات إلى درجات الكمال والعرفان، التي تقرن فيها العلوم بالأعمال، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٦]، لفعلنا، بأن نخلق له الهداية خلقا، ونحمله عليها طوعاً أو كرهاً، فإن ذلك لا يعجزنا، وإنّما هو مخالف لسنتنا))[٧] .

وقد تنبّه المفسر دروزة الى ردّ لطيف مشفوعٍ بالدليل من القرآن الكريم فقال:((وقد تُوهِم جملة ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾، أنَّ الله تعالى هو الذي شاء للرجل عدم الارتفاع فأخلد إلى الأرض وغوا،

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٥ / ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٢) المصدر نفسه: ١٥ / ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٣ / ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٤) ينظر: النكت والعيون: ٢ / ٢٨٠ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢ / ٢٥١ .

(٥) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٢ / ١٧٠ .

(٦) سورة المجادلة، الآية: ١١ .

(٧) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) : ٩ / ٣٤٠ .

لكنَّ في الآية وردت جملة تزيل هذا الوهم، حيث وُصِف الرجل بأنَّهُ رضخ لوسوسة الشيطان واتبع هواه وغوا وأنَّهُ من أجل ذلك ظالمٌ لنفسه ولم يَظلِمْهُ الله، ووجه تأويلها هو أنَّ الله قادرٌ على رفعه بالآيات ولكنه تركه لاختياره وقابليته التي أودعها فيه فساقه ذلك إلى ما هو مُتسِّق مع سجيته الفاسدة ونيته الخبيثة))[١]، ومما انطوى تقريره في آية سورة الإسراء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾[٢] .

ثانياً: معنى ((أَخْلَدَ))، في قوله تعالى:﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾

((خَلَدَ))، الْخَاءُ وَاللَّامُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الثَّبَاتِ وَالْمُلَازَمَةِ، فَيُقَالُ: خَلَدَ: أَقَامَ، وَأَخْلَدَ أَيْضًا، أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ إِذَا لَصِقَ بِهَا[٣]، أي: رَكَنَ إليها وَسَكَنَ، وأَخْلَد إلى الأَرض وإلى فُلَانٍ أَي رَكَنَ إليه وَمَالَ إليه وَرَضِيَ بِهِ، وتكون بمعنى: رَغَنَ، يُقَالُ: رَغَنَ إِلَيْهِ وأَرْغَنَ إِذَا مَالَ إِلَيْهِ ورَكَنَ[٤].

وأشار الطبري إلى دلالتها في كلام العرب بقوله: ((أتبع الدنيا، وركن إليها، وأصل ((الإخلاد)) في كلام العرب: الإبطاء والإقامة يقال منه: ((أخلد فلان بالمكان))، إذا أقام به وأخلد نفسه إلى المكان إذا أتاه من مكان آخر، وكان بعض البصريين يقول معنى قوله: ((أخلد)): لزم وتقاعسَ وأبطأ))[٥] .

﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾، أي: ركن إليها، وفي ركونه إليها وجهان: أحدهما: أنَّهُ ركن إلى أهلها في استنزالهم له ومخادعتهم إياه، والثاني: أنَّهُ ركن إلى شهوات الأرض فشغلته عن طاعة الله[٦]، وقد بيّن ذلك قوله تعالى:﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾.

أورد الرازي (ت:٦٠٦هـ) في تفسيره إذ قال: ((قال أصحاب العربية أصل الإخلاد اللزوم على الدوام، وكأنَّهُ قيل: لزم الميل إلى الأرض، ومنه يقال: أخلد فلان بالمكان، إذا لزم الإقامة به، ومنه مال إلى الدنيا، او سكن الى الدنيا[٧]، وَلَكِنّهُ اختار لنفسِهِ التّسَفّلَ المُنَافي لتلك الرفعة بأنْ أخلد ومَالَ

---

(١) ينظر: التفسير الحديث: ٢ / ٥٣٨ .

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٤ .

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (خلد): ٢ / ٢٠٧ .

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (رَكَنَ): ٣ / ١٦٤ ، ١٣ / ١٨٣ .

(٥) جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٣ / ٢٧١ .

(٦) النكت والعيون: ٢ / ٢٨٠ ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢ / ١٧٨ .

(٧) مفاتيح الغيب: ١٥ / ٤٠٥ .

إلى الأرضِ وزينتها، وجعل كُلَّ حَظِهِ من حياته التّمَتّعَ بما فيها من اللّذائذ الجسديَّة، فلم يرفع إلى العالم العلويِّ رأساً[1]، أو لصق بها أو انحط إليها، والجملة بمعنى اختار الانحطاط على الارتفاع، أو الشر على الخير، أو الضلال على الهدى، أو أعراض الدنيا وشهواتها))[2] .

ثالثاً: اعراب قوله تعالى:﴿إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ﴾

((إن)) حرف شرط جازم ((تحمل)) مضارع مجزوم فعل الشرط، والفاعل أنت ((عليه)) مثل عليهم متعلّق ب ((تحمل))، ((يلهث)) مثل تحمل جواب الشرط ((أو)) حرف عطف ((تتركه يلهث)) مثل تحمل يلهث، و ((الهاء)) مفعول به .

وجملة: ﴿إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ﴾ لا محلّ لها استئناف بيانيّ .

وجملة: ((يلهث)) لا محلّ لها جواب شرط جازم غير مقترنة بالفاء[3] .

وهذا القول هو متناقض لقول الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) والرازي، إذْ ذهبا الى انَّ الجملة حالية[4]، ودلالة المعنى المستقى من تفسير المنير يؤيد ما ذهب إليه الزمخشري والرازي[5]، ولقد نقل الإمام الرازي هذا القول عن الزمخشري ولكن لم يشر إليه .

سادساً: معنى المثل في قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۚ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۡ﴾[6] فمثل هذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثلُ الكلب الذي يلهث، طردْته أو تركته، وأما السبب الّذي من أجله جَعَل الله مثَله كمثل الكلب، اختلف أهل التأويل في ذلك وفيه أقوال:

فقال بعضهم: مثَّله به في اللهث، لتركه العمل بكتابِ الله وآياته التي آتاها إياه، وإعراضِه عن مواعظ الله التي فيها إعراض من لم يؤته الله شيئاً من ذلك، أي: سواء وعظ بآيات الله، أم لم يوعظ، في أنَّهُ لا يتَّعظ بها، ولا يترك الكفر به، فمثله مثل الكلب الّذي سواءٌ أمره في لهثه، طُرِدَ أم

(١) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): ٩ / ٣٤١ ، تفسير المراغي: ٩ / ١٠٦ .

(٢) التفسير الحديث: ٢ / ٥٣٤ .

(٣) الجدول في إعراب القرآن الكريم: ٩ / ١٢٦ ، ١٢٨ .

(٤) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢ / ١٧٨ ، مفاتيح الغيب: ١٥ / ٤٠٦ .

(٥) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ٩ / ١٦١ .

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦ .

لم يُطْرَد، فهو يلهث بأحواله كلها، وقال آخرون: إنّما مثّله جل ثناؤه بالكلب؛ لأنَّهُ كان يلهث كما يلهثُ الكلب[١] .

وقال الطبري(ت:٣١٠هـ): ((وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، تأويلُ من قال: إنّما هو مثلٌ لتركه العمل بآيات الله التي آتاها إياه، لدلالة قوله تعالى: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، فجعل ذلك مثلَ المكذِّبين بآياته))[٢] .

وقال تعالى: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣]، قال الطبري في تفسيره: ((هذا المثل الذي ضربتُه لهذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثلُ القوم الذين كذبوا بحُججنا وأعلامنا وأدلَّتنا، فسلكوا في ذلك سبيل هذا المنسلِخ من آياتنا الّذي آتيناها إياه، في تركه العمل بما آتيناه من ذلك))[٤] .

أما قوله تعالى:﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥]، أي: فاقصص، يا محمد ﷺ، هذا القصص الّذي اقتصصته عليك، من نبأ الذي آتيناه آياتنا، على قومك من قريش، ومَنْ قِبَلَك من يهود بني إسرائيل، ليتفكروا في ذلك، فيعتبروا وينيبوا إلى طاعتنا لئلا يحلّ بهم مثلُ الّذي حلَّ بمن قبلهم من النّقم والمثلات[٦] .

وأورد ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) في تفسيره ((أنَّ هذا الكافر إن زجرتَه لم ينزجر، وإن تركتَه لم يهتد فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب، فانَّهُ إن طُرد وحُمل عليه بالطرد كان لاهثاً، وإن تُرك وربض كان أيضاً لاهثاً، والتشبيه بالكلب اللاهث على وجه الخصوص، فالمعنى: فمثله كمثل الكلب لاهثاً وإنما شبهه بالكلب اللاهث؛ لأنَّهُ أخسُّ الأمثال على أخس الحالات وأبشعها، كل لاهث إنّما يلهث من إعياءٍ أو عطشٍ، إلا الكلب، فإنَّهُ يلهث في حال راحته وحال كلاله، فضربه الله مثلاً

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٣ / ٢٧١ .
(٢) المصدر نفسه: ١٣ / ٢٧٤ .
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦ .
(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٣ / ٢٧٤ .
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧٥ ، ١٧٦ .
(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٣ / ٢٧٤ .

لمن كذَّب بآياته، وقوله تعالى: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ قَصَصَ الذين كفروا وكذّبوا أنبياءهم))[1] .

أورد الإمام الرازي في تأويله قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾، فقال: ((إنَّ هذا التّمثِيلَ ما وقع بجميع الكلاب، لكنَّهُ وقع بالكلب اللّاهث، وأخس الكلاب هو اللّاهث، فمن آتاهُ الله العِلمَ والدّين فمال إلى الدَّنيا، وأخلد إلى الأرض، كان مُشبَّهاً، بالكلب اللّاهث، وفي هذا التمثيل ثلاث وجوه، وهي:

الأول: أيُ شيءٍ يلهث فإنّما يلهثُ من إعياءٍ أو عطشٍ إلاّ الكلب اللّاهث فإنَّهُ يلهثُ في حال الإعياءِ، والراحة، والعطش، والرِّيِّ، فهي عادةً منه وطبيعة، وهو مُواظبٌ عليه كعادتهِ الأصلية، وطبيعة الخسيسة، لا لأجل حاجة وضرورة، فكذلك من آتاه الله العلم والدّين أغناه عن التّعرَّضِ لأوساخ أموال الناس، ثم إنَّهُ يميلُ إلى طلبُ الدُّنيا، كان حاله كحال ذلك اللاهث، حيث واظب على العمل الخسيس، والفعل القبيح، لمجرد نفسه الخبيثة، لا لأجل الحاجة والضرورة .

والثاني: إنَّ الرجل العالم إذا توسل بعلمه إلى طلب الدنيا، إنّما يكون لأجل أنَّهُ يُورِدُ عليهِم أنواع علومهِ ويظهر عندهم فضائل نفسهِ ومناقِبُها، وعند ذكر تلك الكلمات والعبارات، يدلع لسانه ويخرجه لأجل ما تمكن في قلبه من حرارة الحرص إلى الفوز بالدنيا، فحالته شبيهة بحالة الكلب الذي أخرج لسانه أبدا من غير حاجة ولا ضرورة، بل بمجرد الطبيعة الخسيسة .

والثالث: إنَّ الكلب اللاهث لا يزال لهثه البتة، فكذلك الإنسان الحريص لا يزال حرصه البتة))[2] .

سابعاً: الحكمة المستنبطة من المثل .

وتعد هذه الآية من الآيات التي شددت على أصحاب العلم، وبعد أن خَصَّ الله تعالى هذا الرَّجُلَ بآياتِهِ وبيّنَاته، وعَلّمَه الاسم الأعظم، وخصَّهُ بالدَّعوة المستجابة لَمَّا اتّبَعَ الهوى انسلخ من الدين وصار في درجة الكلب، وذلك يَدُلَّ على أن كل من كانت نعم الله في حقه أكثر، فإذا أعرض عن متابعة الهدى وأقبل على متابعة الهوى، كان بعده عن الله أعظم[3] .

---

(١) زاد المسير في علم التفسير: ٢ / ١٧١ .

(٢) مفاتيح الغيب: ١٥ / ٤٠٥ .

(٣) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٢ / ١٧١ ، مفاتيح الغيب: ١٥ / ٤٠٥ .

وفي المثل عبرةٌ وموعظةٌ للمؤمنين وتحذير لهم من اتباع أهوائهم حتى لا ينزلقوا في مثل تلك الهواة التي انزلق إليها صاحب المثل بحبه للدنيا وميلهِ إلى شهواتها ولذاتها[١] .

ومن مقاصد المثل تقرير لكون سلامة النية والقلب وصدق الرغبة في الاهتداء هو الجوهري ولا عبرة بالعلم والاطلاع إذا كانت النية خبيثة والسجية فاسدة والنفس دنيئة الرغبات والمطالب، خاضعة للهوى والمآرب، وصاحب هذه الصفات لا يرتفع إذا ما أوتي العلم إلى المقام الرفيع الّذي يجدر أن يرتفع إليه بعلمه ويظل ينحط ويرتكس من دون أن ينفعه علم ولا عظة ولا عبرة[٢] .

المطلب الثاني: المثل المضروب في بطلان عبادة الأصنام عقلاً .

اولاً: معنى الآية الاجمالي:﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقٗا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[٣]

لقد شَبّه الله تعالى للناس شَبَهاً للكافر وللمؤمن، ومثَل الكافر: فإنَّه لا يعمل بطاعة الله، ولا يأتي خيرا، ولا ينفق ماله في سبيل الله، كالعبد المملوك، فالذي لا يقدر على شيء فينفقه، وأما المؤمن بالله فإنه يعمل بطاعة الله، وينفق في سبيله ماله كالحر الّذي آتاه الله مالا فهو ينفق منه سرّاً وجهرا، فهل يستوي العبد الذي لا يملك شيئاً ولا يقدر عليه، وهذا الحرّ الّذي قد رزقه الله رزقاً حسناً وينفق منه، فكذلك لا يستوي الكافر العامل بمعاصي الله المخالف أمره، والمؤمن العامل بطاعته وقوله تعالى:﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ الحمد الكامل لله خالصاً من دون ما تَدْعُون من الأوثان.﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: ليس الأمر كما تفعلون، وكما تقولون، ما للأوثان من يد ولا معروف فتُحْمد عليه، إنما الحمد لله، ولكن أكثر هؤلاء الكفرة الذين يعبدونها لا يعلمون أنَّ ذلك كذلك، وبجهلهم بما يأتون ويَذَرون يجعلونها لله شركاء في العبادة والحمد[٤] .

المراد من العبد المملوك فيهِ وجهان: **الأول:** لا يملك ما لم يؤذن وإن كان باقياً معه. **الثاني:** أنَّ لسيده انتزاعه من يده وإن كان مالكاً له، وقوله تعالى:﴿وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ﴾ يعني الحُرّ، وفيه وجهان: **أحدهما:** ملكه ما بيده، **الثاني:** تصرفه في الاكتساب على اختياره، وفي المثل قولٌ آخر: أنَّهُ مثلٌ

---

(١) ينظر: تفسير المراغي: ٩ / ١٠٧ .

(٢) ينظر: التفسير الحديث: ٢ / ٥٣٦ .

(٣) سورة النحل، الآية: ٧٥ .

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٧ / ٢٦٢ . الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٦ / ٣٢ .

ضربهُ الله تعالى لنفسه والأوثان لأنّها لا تملك شيئاً، وإنَّهُم عَدِلوا عن عبادة الله تعالى الّذي يملك كل شيء[1]، وروى أنَّ العبد المملوك هو أبو جهل بن هشام، ومن رزقناه هو أبو بكر الصديق ﷺ [2] .

اكّدَ الله تعالى في هذا المثل إبطال مذهب عبدة الأصنام، وفيه مسائل:

الأولى: في معنى المثل، وفيه قولان:

الأول: المراد لو فرضنا عبداً مملوكاً لا يَقدِرُ على شيء، وفرضنا حراً كريماً كثير الإنفاق سراً وجهراً، فلا تجوز التسوية بينهما في التعظيم والإجلال مع استوائِهما في الخِلقة والصورة والبشرية فكيف يجوز للعاقل أن يسوي بين الله القادر على الرزق والإفضال، وبين الأصنام التي لا تملك ولا تقدر البتة .

الثاني: العبد المملوك هو الكافر، وبقي محروماً عن عبودية الله تعالى وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز، والذي رزقناه هو المؤمن فإنَّهُ مُشتَغِلٌ بالتعظيم لأمر الله تعالى، والشفقة على خلق الله فبين تعالى أنّهما لا يستويانِ في المرتبةِ والشرفُ والقرب من رضوان الله تعالى .

ورجَّحَ الإمام الرازي القول الأول؛ لأنَّ ما قبل هذه الآية وما بعدها إنّما ورد في إثبات التوحيد، وفي الرد على القائلين بالشرك، فحمل هذه الآية على هذا المعنى أولى .

المسألة الثانية: المراد من العبد المملوك، وفيه أقوال:

الأول: المراد به الصنم؛ لأنَّهُ عبدٌ بدليل قوله تعالى:﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾[3]، أو أنَّهُ مملوك ولا يَقدِرُ على شيء فظاهر، والذي رزقناه هو عابد الصنم؛ لأنَّ الله تعالى رزقه المال وهو ينفق من ذلك المال على نفسه وعلى أتباعه سراً وجهراً .

((إذا ثبت هذا فنقول: هما لا يستويان في بديهة العقل، بل صريح العقل يشهد بأن ذلك القادر أكمل حالاً وأفضل مرتبة من ذلك العاجز، فهنا صريح العقل يشهد بأنَّ عابد الصنم أفضل من ذلك الصنم فكيف يجوز الحكم بكونه مساويا لرب العالمين في العبودية))[4] .

---

(١) ينظر: النكت والعيون: ٣ / ٢٠٤ ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٣ / ٧٥ ، زاد المسير في علم التفسير: ٢ / ٥٧٣ .

(٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٣ / ٨٩ .

(٣) سورة مريم، الآية: ٩٣ .

(٤) مفاتيح الغيب: ٢٠ / ٢٤٧ .

القول الثاني: العبد المملوك هو عبد معين، قيل: هو عبدٌ لعثمان بن عفان، وحملوا قوله تعالى: ((وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا))[١] على عثمان خاصة (رضي الله عنه) .

القول الثالث: لقد رجّحَ الرازي هذا القول، والذي هو أنَّهُ عام في كل عبد بهذه الصفة، وفي كل حر بهذه الصفة، وهذا القول هو الأظهر، لأنَّهُ هو الموافق لما أراده الله تعالى في هذه الآية، والله أعلم[٢]، فبعد ما بيَّن الله تعالى دلائل التوحيد بياناً شافياً فيما سلف أردف ذلك الرد على عابدي الأوثان والأصنام، فضرب لذلك مثلاً يؤكد به إبطال عبادة الأصنام: ((العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والحر الكريم الغنى الكثير الإنفاق سرا وجهرا، ولفت النظر إلى أنهما هل يكونان في نظر العقل سواء مع تساويهما في الخلق والصورة البشرية؟ وإذا امتنع ذلك فكيف ينبغي أن يسوى بين القادر على الرزق والإفضال، والأصنام التي لا تملك ولا تقدر على النفع والضر))[٣] .

هذا المثل متضمن قياس من قياس العكس، وهو نفي الحكم لنفي علته وموجبه . والقياس نوعان: قياس طرد، يقتضى إثبات الحكم في الفرع لثبوت علة الأصل فيه. وقياس عكس، يقتضى نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الحكم فيه[٤]، ((فبعد أن نهى الله تعالى عن ضرب الأمثال له؛ لأنَّ الله تعالى يعلم كيف يضرب الأمثال، وأنتم لا تعلمون، علمهم كيف تضرب الأمثال، فقال: مثلكم في إشراككم بالله الأوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف، وبين حر مالك قد رزقه الله مالا، فهو يتصرف فيه، وينفق منه كيف شاء))[٥] .

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٥ .

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٠ / ٢٤٧ .

(٣) تفسير المراغي: ١٤ / ١١٣ .

(٤) ينظر: التفسير القيم (ابن القيم): محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤١٠هـ: ٣٥٤ .

(٥) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ١٤ / ١٨٦ .

ثانياً: الاحتجاج بالآية على عدم ملكية العبد للمال .

أ. ثبت في أصول الفقه ترتيب الحكم على الوصف يؤذن بأن ذلك الوصف علة ذلك الحكم سواء كان ذلك الوصف مناسباً لذلك الحكم أم لا، كقولك: أكرم العلماء وأهن الجهال، فإنَّ الإكرام مناسب للعلم، والإهانة مناسب للجهل(١) .

وأما دلالة الإيماء والتنبيه، فهي لا تكون الا على علة الحكم خاصة، وضابطها: أن يذكر وصف مقترن بحكم في نص من نصوص الشرع على وجه لو لم يكن ذلك الوصف علة لذلك الحكم لكان الكلام معيباً(٢)، وإنَّ من أضرُب إثبات العلة: الايماء والتنبيه أن يقرن الحكم بوصف على وجه لو لم يكن علة لكان الكلام معيباً عند العقلاء، فيه عدة أنواع منها:

١. أنْ يذكر الحكم عقب وصف ((بالفاء))، فيدل على أَنَّ ذلك الوصف علة لذلك الحكم نحو قوله تعالى:﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾(٣) .

٢. أنْ يذكر الحكم مقرونًا بوصف مناسب، كقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾(٤)، أي: لِبرِّهِم(٥) .

((صورة تخريج المناط بمسلك المناسبة: أن يحكم الشارع في محلٍّ بحكم، ولا يتعرض لبيان عِلَّة ذلك الحكم لا بصريح لفظٍ ولا بإيماء، فيستخرِج المجتهد وصفاً ظاهراً منضبطاً يحصل من ترتيب الحكم عليه ما يصلح أن يكون مقصوداً من جلب مصلحةٍ أو دفع مضرَّة، ولا يجد غيرَه من الأوصاف الصالحة للعِلِّيَّة مثلَه ولا أولى منه، ويغلب على ظنِّه كون ذلك الوصف عِلَّةً لذلك الحكم فيعينه مناطاً له، ثم يستدل على ذلك بإظهار ملائمة الوصف للحكم))(٦) .

---

(١) ينظر: رَفْعُ النِّقَابِ عَن تنقِيح الشّهابِ، حسين بن علي بن طلحة السِّمْلالي، تح: أَحْمَد بن محمَّد السراح، وآخرون، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٤م: ٥ / ٣٠٠ .

(٢) ينظر: مذكرة في أصول الفقه، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ٢٠٠١م: ٢٨٣ .

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٨ .

(٤) سورة الانفطار، الآية: ١٣ ، وسورة المطففين، الآية: ٢٢ .

(٥) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني، ط٥، دار ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ: ٢٠٣ .

(٦) الاجتهاد في مناط الحكم الشرعي دراسة تأصيلية تطبيقية، بلقاسم بن ذاكر بن محمد الزُّبيدي: أصل الكتاب: رسالة دكتوراة من قسم أصول الفقه بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى عام(١٤٣٥هـ)، إشراف: أ. د. غازي بن مرشد العتيبي، ط١، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، مكة المكرمة، ٢٠١٤م: ٦٢٦ .

وأشار الرازي في تفسيره إلى أنَّ الفقهاء قد احتجوا بهذه الآية على العبد لا يملك شيئا، فإن قالوا: ظاهر الآية يدل على أنَّ عبداً من العبيد لا يقدر على شيء، فلم قلتم: إنَّ كل عبدٌ كذلك؟ وقال الرازي: يدلُّ عليه وجهان:

الأول: أورد الرازي القاعدة السابقة فقال: ((إن الحكم المذكور عَقِيبَ الوصفُ المناسب يَدلُّ على كون ذلك الوصف علة لذلك الحكم، وكونه عبدا وصفٌ مشعرٌ بالذل والمقهورية. وقوله تعالى: ﴿لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾[1]، حكم مذكور عقيبه فهذا يقتضي أن العلة لعدم القدرة على شيء هو كونه عبداً، وبهذا الطريق يثبت العموم.

الثاني: قال تعالى: ﴿وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقٗا حَسَنٗا﴾، ((فميز هذا القسم الثاني عن القسم الأول وهو العبد بهذه الصفة وهو أنه يرزقه رزقا، فوجب أن لا يحصل هذا الوصف للعبد حتى يحصل الامتياز بين القسم الثاني وبين القسم الأول، ولو ملك العبد لكان الله قد آتاه رزقا حسناً، لأنَّ المُلْكْ الحلال رِزقٍ حَسِنٍ سواء كان قليلاً أو كثيراً))[2] .

ب. هل العبد يملك الطلاق؟

وهذان الوجهان يدلان على أنَّ ظاهر الآية يقتضي أنَّ العبد لا يقدر على شيء ولا يملك شيئاً. ثم اختلفوا قيل التشدد في ذلك حتى قال: لا يملك الطلاق أيضاً، وأكثر الفقهاء قالوا: يملك الطلاق إنما لا يملك المال ولا ما له تعلق بالمال. واختلفوا في أن المالك إذا ملكه شيئاً فهل يملكه أم لا؟ وظاهر الآية ينفيه[3]

ج. وفي الآية تساؤلٌ: لِمَ قَالَ: مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وكل عبد مملوك، وغير قادر على التصرف؟

الجواب: أما ذكر المملوك فليميز من الحرّ؛ لأنَّ اسم العبد يقع عليهما جميعا، لأنهما من عباد الله وأمّا لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له، لأنهما يقدران على التصرف[4] .

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٥ .

(٢) مفاتيح الغيب: ٢٠ / ٢٤٧ .

(٣) المصدر نفسه: ٢٠ / ٢٤٧ .

(٤) أورد هذا القول الزمخشري، ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢ / ٦٢٢ ، وقد نقله الرازي من الزمخشري ولكن لم يُشِرْ إليه في تفسيره، ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٠ / ٢٤٧ .

ثالثاً: معنى ((مَنْ)) في المثل:

قال الرازي في تفسيره: ((من)) ((الظاهر أنها موصوفة كأنَّهُ قيل: وحراً ورزقناه ليطابق عبداً، ولا يمتنع أن تكون موصولة))[١] .

((مَنْ)) لقد قال الله تعالى:﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾، ولم يقل يستويان لمكان ((من))؛ لأنَّهُ اسم مبهم يصلح للواحد والاثنين والجميع والمؤنث والمذكر، وكذلك قوله:﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[٢] ثمّ قال: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بالجمع لأجل ((ما)) ومعنى الآية: هل يستوي هذا الفقر والبخل، والغنى هو السخاء وعكس الغنى الفقر، فكذلك لا يستوي الكافر العاصي المخالف لأمر الله والمؤمن المطيع له[٣]، و((لفظ ((مَنْ)) لفظ توحيد، ومعناها معنى الجمع، ولم يقع المَثَل بعبد معيَّن، ومالك معين، لكن عُنِيَ بهما جماعةُ عبيد، وقومٌ مالكون، فلما فارق من تأويل الجمع، جمع عائدها لذلك))[٤] .

رابعاً: معنى قوله تعالى:﴿يَسْتَوُۥنَ﴾ في المثل المذكر .

أي: هل يستوي العبد الذي لا يملك شيئاً ولا يقدر عليه، وهذا الحرّ الذي قد رزقه الله رزقاً حسناً فهو ينفق كما وَصَف، وكذلك لا يستوي الكافر العامل بمعاصي الله المخالف أمره، والمؤمن العامل بطاعته[٥]، وجاء لفظ ((يستوون)) على الجمع أي: معناه هل يستوي الأحرار والعبيد، ثم قال تعالى:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وفيها وجوه:

١. الحمد لله على ما فعل بأوليائه وأنعم عليهم بالتوحيد .

٢. إنَّ كل الحمد لله، ولا يكون للأصنام، وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦] يعني: أنهم لا يعلمون أنَّ كُلَّ الحمد لله تعالى وليس شيء منه للأصنام.

---

(١) مفاتيح الغيب: ٢٠ / ٢٤٨ .

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٣ .

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٦ / ٣٢ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٣ / ٨٩ .

(٤) زاد المسير في علم التفسير: ٢ / ٥٧٣ .

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٧ / ٢٦١ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٦ / ٣٢ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٣ / ٨٩ .

(٦) سورة النحل، الآية: ٧٥ .

٣. ويحتمل أنْ يكون خطاباً لمن رزقه الله رزقاً حسناً أنْ يقول: الحمد لله على أن ميزه في هذه القدرة عن ذلك العبد الضعيف.

٤. أنَّهُ تعالى لما ذكر هذا المثل، وكان هذا مثلاً مطابقاً للغرض كاشفاً عن المقصود قال بعده: الحمد لله يعني الحمد لله على قوة هذه الحجة وظهور هذه البينة، ثم قال:

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يعني: أنها مع غاية ظهورها ونهاية وضوحها لا يعلمها ولا يفهمها هؤلاء الضلال[١] .

أهمية المثل: هل من المعقول التسوية بين الاثنين؟!

أي: كيف يسوى الجماد بالله تعالى في الألوهية والعبادة؟! أو كيف يسوى الكافر المخذول والمؤمن الموفق؟! هذان مثلان موضحان بطلان عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، ولا تسمع ولا تجيب، ولذا قال تعالى نتيجة لهذه المقارنة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: الحمد التام الكامل لله والثناء الشامل لله، فهو وحده المستحق للحمد، لا تلك الأوثان، بل أكثر أولئك الكفار التي يعبدونها لا يعلمون الحق فيتبعوه، ولا يعرفون المنعم الحقيقي لهم، والعبادة، والحمد والشكر[٢] .

ومن لوازم هذا المثل وأحكامه:

١. أن يكون المؤمن الموحد كمن رزقه الله رزقاً حسناً والكافر المشرك كالعبد المملوك الّذي لا يقدر على شيء، فهذا مما نبه عليه المثل وأرشد إليه[٣] .

٢. دَلَّ هذا المثل على ضلالة المشركين وبطلان عبادة الأصنام؛ لأنَّ الإله المعبود أن يكون مالكاً قادراً على التصرف في الأشياء، ونفع غيره، والأصنام فاقدة للملك، عاجزة عن التصرف كمثل العبيد المملوكين للسادة الموالي، وأما الأحرار الملاك الأغنياء كثير والإنفاق سراً وجهراً، فهم القادرون على التصرف[٤] .

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٠ / ٢٤٨ .

(٢) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ١٤ / ١٨٧ .

(٣) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم): ٣٥٤ .

(٤) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ١٤ / ١٨٨ .

المطلب الثالث: المثل المضروب في مآل أعمال الكافرين

أولاً: معنى الآية الإجمالي:﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾[1].

ضرب الله تعالى المثل لأعمال الكفّار وذكر: ((مَثَلُ أعمال الكفار يوم القيامة، أي: التي يعملونها في الدنيا يزعمُون أنَّهم يريدون الله بها، كرمادٍ عَصِفتْ الريح عليه في يومِ ريح عاصفٍ، فنسفته وذهبت به، فكذلك أعمال أهل الكفر به يوم القيامة، لا يجدون منها شيئاً ينفعهم عند الله فينجيهم من عذابه؛ لأنهم لم يكونوا يعملونها لله خالصاً، بل كانوا يشركون فيها الأوثان والأصنام، وقوله:﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾، أي: الخطأ البينُ، البعيدُ عن طريق الحق))[2]، ((أي: وفيما يتلى عليك ((يا محمد)) مثل لأعمال الكفار في تلاشيها، وكيف أنَّهُ لا يقبل شيء منها كرماد في يوم عاصف، فإنَّهُ لا يبقى منه شيء، كذلك أعمالهم، ومن كان كذلك فقد خاب في الدارين، وحلّ عليه الويل))[3]، أي: كل ما يتقرَّب به المشركون يَحْبَط ولا ينتفعون به، كرمادٍ سَفَتْه الريح فلا يُقدَر على شيء منه، فهم لا يقدرون مما كسبوا في الدنيا على شيء في الآخرة، أي: لا يجدون ثوابه، ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ من النجاة[4] .

عندما ذكر الله تعالى أنواع عذابهم في الآية المتقدمة بيّن في هذه الآية أنَّ أعمالهم بأسرها تَصِيرُ ضائعة باطلة لا ينتفعون بشيء منها وعند هذا يظهر كمال خسرانهم؛ لأنَّهم لا يجدون في القيامة إلا العقاب الشديد وكلْ ما عملوه في الدنيا وجدوه ضائعاً باطلاً، وذلك هو الخسران الشديد[5].

بعد أن ذكر الله تعالى ما سيلاقيه الكافرون في هذا اليوم العصيب من سائر أنواع العذاب التي سلف وصفها، بيّن هنا أنَّ ما عملوه في الدنيا من صالح الأعمال لا يجديهم فتيلا ولا قطميرا، كرمادٍ أطارته الريح في يومٍ عاصف فذهبت به في كل ناحية، فهم لا يجدون من أعمالهم فيه شيئاً، ثم

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٨ .

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٦ / ٥٥٦ ، ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٣ / ٣٤ .

(٣) لطائف الإشارات: ٢ / ٢٤٦ .

(٤) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٢ / ٥٠٩ .

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٩ / ٨٠ – ٨١ .

بين أن ذلك اليوم آتٍ لا ريبَ فيه، فإن من أنشأ السموات والأرض بلا معين ولا ظهير قادر على أن يفنيهم ويأتي بخلق سِواهُم، وليس ذلك بعزيز ولا بممتنع عليه[١] .

ثانياً: اعراب قوله تعالى:﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ﴾

((مَّثَلُ)) مبتدأ مرفوع ((ٱلَّذِينَ)) موصول مضاف إليه في محلّ جرّ[٢] .

قال تعالى:﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾ أضافَ الْمَثَلَ إليهم ثُمَّ قَالَ:﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ والمثل للأعمال، والعرب تفعل ذَلِكَ، وَذَلِكَ عربيّ؛ لأنَّهم يَجدونَ المعنى فِي آخر الكلمة فلا يبالونَ ما وقع عَلَى الاسم المبتدأ[٣]، تقدير الآية: مثل أعمال الذين كفروا بربهم، فحذف المضاف اعتمادا على ذكره بعد المضاف إليه[٤] .

أورد الزمخشري في تفسيره فقال:((**أولاً:** هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه، والتقدير: وفيما يُقصُّ او يُتلى عليك ((مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ))، وقوله: ((كَرَمَادٍ)) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول: كيف مثلهم؟ فقيل: أعمالهم كرماد .

ثانياً: التقدير مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرمادٍ فحذف المضاف اعتماداً على ذكره بعد المضاف إليه وهو قوله: ((أَعۡمَٰلُهُمۡ)) .

الثالث: التقدير هو صفة للذين كفروا، أي: الجملة خبراً للمبتدأ.

الرابع: أن تكون بدل من قوله: ((مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ)) والتقدير: ((مثل أعمالهم)) وقوله: كرمادٍ هو الخبر. الخامس: أن يكون المثل صلة الموصول وتقديره: الّذين كفروا أعمالهم))[٥] .

---

(١) ينظر: تفسير المراغي: ١٣ / ١٤١ .

(٢) الجدول في إعراب القرآن الكريم: ١٣ / ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٣) ينظر: معاني القرآن (للفراء): ٢ / ٧٢ .

(٤) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٣ / ٢٧ .

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢ / ٥٤٧ ، ينظر: مفاتيح الغيب: ١٩ / ٨٠ – ٨١ .